T
23A

مفهـــــوم العـــرب للمعلـــم المثالـــي

بقلم

احمـــد ســـراج

رسالة قدمت الى دائرة التاريخ العربي في كلية الآداب
والعلوم في جامعة بيروت الاميركية لنيل شهـــادة
استاذ علوم في التاريخ العربي

بيروت ــ الجامعة الاميركية ١٩٥١

الاهـــــــــداء

الى قرينتي وولدي الصغيرين تقديرا لما بذلوا
من تضحية ، لولاها لما تهيأ لهذه الدراسة
ان تتم

احمـــد ســـراج

تصـــــــدير

في فترة الانتقال التي يجتازها العالم العربي اليوم ، من مرحلة الجمود التي عاناها مدة ستة قرون الى مرحلة التطور والاخذ بسبل الاصلاح المبني على أسس النهضة الانسانية الحديثة ـ تنبعث التربية لتحتل مكان الصدارة من محاولات الاصلاح ، التي اختلفت باختلاف المناطق العربية اولا وبأختلاف العوامل السياسية والاجتماعية التي خضعت لها هذه المناطق ثانيا .

اما وان للتربية خطرا قد بلغ الذروة في فترة كهذه ، تعقدت فيها سبل الحياة وبدا فيها الصراع بين القديم والجديد حادا صارخا ، بعد ان اصبحت العزلة المادية والفكرية والاجتماعية مسميات لاشياء لا وجود لها ، فأمر لا يختلف عليه اثنان .

ولما كنت اعتقد بان الاصلاح التربوي ، شان الاصلاح في بقية مرافق الحياة الاجتماعية والسياسية لا يكون كاملا وبالتالي لا يؤدي الغاية التي نتوخاها منه ، الا اذا اخذ بعين الاعتبار عنصرين مهمين هما بمثابة دعامتيه ، اولهما تراث الامة الثقافي بما فيه من مفاهيم عقلية ومثل عليا اخلاقية ، وثانيهما الأسس الصحيحة للمدنية الانسانية الحديثة ، فأنني ارى بأن الاصلاح التربوي يجب ان ينبع من صميم مفاهيم الامة ويتخذ من تراثها الثقافي نقطة انطلاق له ، كما أرى بأن تفتح الامة صدرها للمؤثرات الخارجية فتختار من عناصر المدنية الانسانية انقاها ، ومن غاياتها ووسائلها اقربها الى حاجاتها ، ولعل هذا ما دفعني الى الكتابة عن تاريخ ((مفهوم العرب ـ للمعلم المثالي)) كموضوع لرسالتي هذه ، فعسى ان يكون من محاولتي هذه عون على تفهم مشاكلنا التربوية الحاضرة ، فنأخذ من الماضي صفوته ، ونستفيد من نواحي الضعف فيه ، ومن ثم نلقح هذه الصفوة ، بما تقتضيه حياتنا الجديدة وبما يتلاءم ومفاهيمنا الاخلاقية والفكرية ، من عناصر المدنية الانسانية الحاضرة .

وثمة دافع آخر كان له اثره في كتابة هذه الرسالة ، هو ان اكثر الكتب التي تناولت بحث تاريخ التربية عند العرب ، انما تناولته كتاريخ للمجاري المختلفة التي اتخذتها هذه التربية وكتاريخ لتطور مؤسساتها على مر الزمن ، وقليلة هي الكتب التي اقتصر بحثها على تحليل مفاهيم هذه التربية وشرح غاياتها ووسائلها .

ولا يسعني قبل البدء برسالتي هذه الا ان اقدم شكري لأستاذي رئيس دائرة التاريخ الدكتور نبيه أمين فارس ، لما له في عنقي من دين ، فقد غرس في نفسي ميلا للبحث العلمي لتسم اعهده فيها من قبل ، وعودني فيه التجرد عن عواطف واهواء طالما عانيت منها ما عانيت .

ولا بد لي من ان اقدم شكري الجزيل لاستاذي المشرف الاستاذ جورج داوود شهلا على جهوده التي بذلها لارشادي وتوجيهي في كل خطوة خطوتها لاتمام هذه الرسالة ، كما لا بد لي من ان اعترف له بالفضل العميم ، فقد وضع في متناول يدي رسالته "

"The Arab Conception of the Ideal Teacher as Revealed in ARABIC Pedagogical Literature" .

التي سبق وقدمها لفرع الآداب في جامعة لندن ، فكانت لي خير عون على تفهم هذا الموضوع كما كانت لرسالتي بمثابة النواه والاصل اخذت منها ما اخذت ، بعد ان رجعت فيها الى مصادرها الاصلية وضعت الى هذا الاصل ما اخذته من المصادر الاصلية وما انتقيته من المصادر المخطوطة التي جمعها الاستاذ جورج داوود شهلا من المخطوطات العربية المحفوظة في مكاتب لندن وبرلين وباريس وفينا ومن ثم دمشق ، وضمت هذا كله برسالتي هذه آملا ان تؤدي غايتهـــــا المنشودة .

محتويات الرسالـــــة

رقم الصفحة

المقدمة ١
الفصل الاول : فضيلة العلم واهميته ٤
١ ــ اهمية العلم والمعلم في الصدر الاول من الاسلام .. ٤
٢ ــ قيمة المعلم ومهامه الاجتماعية ٩
الفصل الثاني : فلسفة المعلم ١٨
١ ــ غرض التعليم الديني ١٩
٢ ــ غرض التعليم الاجتماعي ٢٦
آ ــ الوظيفة في نفع الانسانية ٢٦
ب ــ الوظيفة في المركز الاجتماعي الرفيع ٢٧
٣ ــ غرض التعليم العقلي ٢٨
٤ ــ غرض التعليم النفعي ٢٩
الفصل الثالث : شخصية المعلم ٣٠
١ ــ صفات المعلم المادية ٣٠
آ ــ صحة الجسد واثرها في سلامة العقل ... ٣٠
ب ــ مظهر المعلم الخارجي ٣٣
٢ ــ صفات المعلم الاخلاقية ٣٤
آ ــ محبة الطالب واحترامه ٣٤
ب ــ العدل ٣٦
ج ــ كرامة المعلم ٣٦
د ــ التواضع ٣٨
هـ ــ الفضائل التي يجب ان يتحلى بها المعلم .. ٣٨
٣ ــ صفات المعلم العقلية ٤١

رقم الصفحة

أ — النشاط الفكري ٤١
ب — الانشطة الفكرية ٤٣
ج — سلامة التفكير ٤٦
د — التواضع العقلي ٤٦
٤ — صفات المعلم الدينية ٤٩
أ — الايمان ٥٠
ب — الورع والتوجه ٥١
ج — علاقة المعلم بذات الله ٥١
الفصل الرابع : آداب المعلم المهنية ٥٤
١ — علاقة المعلم بزملائه ٥٤
٢ — علاقة المعلم بطلابه ٥٦
٣ — علاقة المعلم بالمجتمع ٥٩
الفصل الخامس: ادارة المدرسة ٦٢
١ — المعلم وغرفة الدرس ٦٢
٢ — الطالب والنظام ٦٣
٣ — مواقيت الدروس والعطل المدرسية ٦٤
الفصل السادس: تهذيب الاخلاق ٦٦
١ — اهمية التهذيب الاخلاقي ٦٦
٢ — اسلوب التهذيب الاخلاقي ٦٩
٣ — حزم بدون قسوة ٧٥
٤ — اثر التلميح دون التصريح في التهذيب ٧٧
٥ — القلب والعقل ٧٩
٦ — العقاب الجسدي ٨١
الفصل السابع: طرق التعليم ٨٦
١ — اسلوب التدريس ٨٦
أ — المحاضرة ٨٦

رقم الصفحة

ب — الاعادة والتكرار ٨٨
ج — السؤال ٩٢
د — عوامل اخرى ضرورية في اسلوب التدريس ٩٧
٢ — مادة التدريس ١٠١
آ — انتقاء المادة الدراسية ١٠١
ب — مبدأ التدرج المركزي ١٠٣
ج — القيم التربوية لمختلف العلوم ١٠٦
د — التخصص في العلوم ١١٢
٣ — الطلاب ١١٤
آ — مستوى الطلاب الفكري ١١٤
ب — فروق الطلاب الفردية ١١٧
الفصل الثامن : اجارة التعليم ١٢٠
آ — ضرورة الاجارة ١٢٠
ب — انواع الاجارة ١٢٣
ج — شروط الاجارة ١٢٥
د — وصف الاجارة ١٢٧
لائحة المصادر والمراجع : ١٣١
١ — المصادر المطبوعة ١٣١
٢ — المصادر المخطوطة ١٣٨
٣ — المراجع العربية ١٤٢
٤ — المراجع الاجنبية ١٤٣

((المقدمـــــــة))

ان رسالتنا هذه هي محاولة لدراسة مفهوم العرب للمعلم المثالي ، هذا المفهوم الذي يبدو من خلال ما الفوه في حقلي التربية والادب التهذيبي . اما مصادر البحث لرسالتنا هذه فتشمل بعض ما وقعت عليه ايدينا من المؤلفات العربية التي تعرضت لبحث مسائل التربية والتعليم ، سواء تناولت هذه المؤلفات التربية كموضوع رئيسي شأن كتب الادب والكتب الدينية ، ام اقتصر بحثها على التربية والتعليم فقط . ونحن لا ندعي اننا استقصينا بحث جميع المصادر والاصول الاولية التي لها علاقة برسالتنا هذه ، بيد اننا وضعنا اليد على ما يقرب من ستين مصدر تقريبا ، — بعضها لا يزال على شكل مخطوطات لم يتم نشرها حتى الان (١) .

اما الفترة الزمنية التي يتناولها هذا البحث فتمتد منذ ظهور الاسلام في اوائل القرن السابع الميلادي حتى دخول البعثة الفرنسية مصر في اواخر القرن الثامن عشر للميلاد ، واذا شئنا الدقة في البحث لقلنا بأن دراستنا هذه بنيت على اساس واصول ، اذا استثنينا منها القرآن الكريم والاحاديث النبوية ، فانها تعود الى فترة من الزمن تمتد من القرن الثامن او التاسع حتى القرن السابع عشر للميلاد .

وتصف القرون الخمسة الممتدة من اوائل القرن العاشر حتى اواخر القرن الرابع عشر بالابداع وغزارة مادة التأليف في حقول التربية والتعليم ففي نهاية القرن العاشر اردهر ابو الحسن علي القابسي (توفي ١٠١٢ م) كما اردهر ابو حامد الغزالي (توفي ١١١١ م) وكلاهما علم من اعلام التربية الاسلامية وفي نهاية القرن الرابع عشر اردهر ابن خلدون (توفي ١٤٠٦م) الذي يقف من النظريات التربوية الحديثة موقف من علم الاجتماع الحديث ، موقفا تميز بالابداع وبعد النظر . وبين القابسي وابن خلدون عاش وبرز لنا اثرهما في تكوين المفاهيم التربوية عند العرب من امثال احمد بن مسكويه (توفي ١٠٣٠ م) صاحب كتاب ((تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق)) (٢) ، الذي عاش احمد في تأثره بمفاهيم التربية اليونانية واثره فيمن اتى بعده من المربين العرب (٣) ، وابو سعد يوسف بن

---

(١) — ذكرت هذه المخطوطات مع بيان تواريخها واسماء مؤلفيها في قائمة المصادر .

(٢) — نشر محمد ابراهيم حبية — مصر ١٩١١ .

(٣) — goldziher ; ((E ducation _ Muslim)) E . R . E .

macdonald , ((M oral Education)) Inter . Journal of Ethics.

oct . , I904 , jan . apr . July ; I905

عبدالبر النمري (توفي ١٠٧٠ م) صاحب كتاب ((جامع بيان العلم وفضله)) ، ومن امثال القاضي ابو بكر بن العربي (توفي ١١٤٨ م) الذي تعرض لبن خلدون لذكر محاولاته في اصلاح مناهج التربية الابتدائية كما سيمر بحثنا[1] ، وبرهان الاسلام الزرنوجي (توفي ١٢٢٣م) صاحب كتاب ((تعليم المتعلم طريق التعلم)) ومحي الدين زكريا النووي (توفي ١٢٧٧ م) وبدرالدين محمد بن جماعة (توفي ١٣٣٣ م) صاحب كتاب ((تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم))[2] ، وابوعبدالله محمد العبدري (توفي ١٣٣٦ م) الذي جمع في كتابه ((المدخل)) خلاصة ما توصل اليه من سبقه من المربين العرب ، واخيرا محي الدين بن عربي ((توفي ١٢٤٠ م)) وهو احد اعلام التربية الصوفية . نكتفي بذكر هؤلاء لان مؤلفاتهم كانت الجو الاساسي الذي استقينا منه معلوماتنا عن المفاهيم التربوية عند العرب ، ولان من اتى بعدهم من المؤلفين لم يفعل اكثر من السير على غرارهم او شرح وتوسيع ما اتوا به من مفاهيم

اما اقدم المصادر التي اعتمدنا عليها ، عدا عن القرآن الكريم والاحاديث النبوية ، فترجع بتاريخها الى القرنين الثامن والتاسع للميلاد ، اقدمها مصدران من تأليف عبدالله بن المقفع (توفي ٧٥٧ م) وهما ((الادب الكبير)) و ((الادب الصغير))[3] . وثمة مصدران آخران ترجما عن اليونانية يبحث اولهما في تهذيب اخلاق الاحداث وهو ((نصيحة افلاطون في تاديب الاحداث))[4] المنسوب الى افلاطون والذي ترجمه الى العربية اسحق بن حنين (توفي ٩١٠م) ويتضمن الثاني ، وهو ((تدبير المنزل))[5] بحثا وافيا عن تهذيب الاحداث وينسب الى مؤلف يوناني باسم ((بوسون)) ترجمه الى العربية مؤلف مجهول .

هذا ، ويجدر بنا ان نذكر بأننا استعملنا كلمة المعلم بمعناها الشامل ، فالكلمة لا تنحصر

---

(١) ابن خلدون المقدمة ص

(٢) نشر محمد هاشم الندوي ، حيدر آباد ١٣٥٣ هـ .

(٣) نشر احمد زكي باشا ، مصر ١٩١١ .

(٤) نشر لويس شيخو اليسوعي بيروت ١٩١١ .

(٥) نشر (مارتن بلسنير) ، هدلبرغ ١٩٢٨ .

على فئة خاصة من المعلمين بل تشمل معلم القراءة والكتابة للاولاد كما تشمل معلم الديانة واللغة والادب للبالغين ، وتشمل اصحاب الاختصاص من المعلمين كما تشمل من لجور همهم لتدريس مختلف انواع الدروس ، وتتضمن من اهتم من المعلمين بتدريس العلوم الدينية كما تتضمن من اهتم منهم بتدريس العلوم الدنيوية ، فان المصادر التي اعتمدنا عليها لا تظهر لنا هذه الفروق الدقيقة ، بعد ان اكثر هذه المصادر تناولت المعلم المختص بتدريس العلوم الدينية ، والذي يدعونا الى اتخاذ المعلم المختص في تدريس العلوم الدينية كنموذجا للمعلم العربي بصورة عامة ، ما ذهب اليه بعض المستشرقين وبعض المعاصرين من العلماء ، من ان التعليم عند العرب نشأ مع الديانة الاسلامية وانتشر بانتشارها[1] ، ---------- ---------- وان هذا التعليم ظل على مر الزمن يسير في المجرى اللاهوتي بحيث لم يتعد المعرفة الدينية[2] ، وان المعارف التي لم يكن لها علاقة بالدين او تلك التي لم تثبت فائدتها الدينية انتهت الى حال من الاهمال والتعرض للفقد لم تستطع معه ان تحتل مكانها اللائق من برامج التدريس عند العرب[3] .

لا بد لنا ونحن في معرض تحديد معنى كلمة المعلم في رسالتنا هذه ، ان نمير بين فئتين من المعلمين ، وذلك تبعا لظهور نوعين من التربية هما التربية الرسمية المجودة من جهة والتربية عند اهل السنة من جهة اخرى ، وتبعا لما نشأ بين هذين النوعين للتربية من فروق في الاهداف واختلاف في الوسائل ، وقد اقتصرنا في رسالتنا هذه على ذكر هذه الاختلافات فقط مهملين ما عدا ذلك من اوجه الشبه وذلك لاتفاقهما في اكثر الخاصيم .

وقد سلكنا في رسالتنا هذه مراحل ثلاث بحثنا في المرحلة الاولى فلسفة المعلم واهدافه في التعليم ، وتعرضنا في المرحلة الثانية الى شخصية المعلم المادية منها والاخلاقية والعقلية والدينية كما تعرضنا الى آدابه المهنية ، وبحثنا في المرحلة الثالثة المعلم كمدير للمدرسة وكمهذب للاخلاق وكمدرس نموذجي ، وقد رأينا تكملة للبحث ، ان نختتم رسالتنا ببحث مفصل عن مهنة التعليم كما رأينا ان نبدأها بلمحة موجزة عن فضيلة المعلم واهميته في راي المجتمع العربي .

---

(1) pedersen , ((Masdjid)) E . I .

(2) Macdonald , Aspects , pp . 298 _ 299 .

(3) macdonald , Aspects , P 300 .

((الفصـــــــــــــل الاول))

((فضيلة العلم واهميته))

١ــ اهمية العلم والمعلم في الصدر الاول من الاسلام .

مظهر الاهمية التي اسبغها الاسلام على التعليم واضحة من خلال بعض آيات القرآن الكريم وبعض احاديث الرسول ، وقد اكثرت كتب الادب العربي خلال عصورها المختلفة من الاستشهاد بهذه الآيات والاحاديث للدليل على ما للتعليم من اهمية كبيرة ، وهاك بعض هذه الآيات :

((هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)) (١)

((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات)) (٢)

((وقل رب زدني علما)) (٣)

((وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)) (٤)

((انما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ)) او ((انما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ)) (٥)

وقد علق احد مفسري القرن الثالث عشر الميلادي على الآية الاخيرة ، فقال بجواز معناها المزدوج اي انه اجاز رفع كلمة ((الله)) ونصب كلمة ((العلماء)) على ان تكون ((الخشية)) مستعارة للتعظيم ((فان المعظم يكون مهيبا)) (٦)

اما احاديث الرسول ، فعلى الرغم من عدم استطاعتنا الجزم بصحة نسبتها الى الرسول ، فهي تظهر لنا بوضوح المثل التربوية في راي العلماء الاول من المسلمين ، ولذا يمكننا اعتبارها ممثلة لوجهة نظر الاجيال الاسلامية الاولى (٧) واليك بعض هذه الاحاديث .

---

(١) سورة الزمر آية ٩ .

(٢) سورة المجادلة آية ١١ .

(٣) سورة طه آية ١١٤ .

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٢ .

(٥) سورة فاطر آية ٢٨ .

(٦) البيضاوي ، انوار التنزيل ، ج ٢ صفحة ١٥٢ ــ ١٥٣ .

(٧) Goldziher , ((Education _ Muslim)) E . R . E .

((طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)) (١)

((اطلب العلم من المهد الى اللحد)) (٢)

((اقرب الناس الى من درجة النبوة اهل العلم والجهاد)) (٣)

((العلماء ورثة الانبياء)) (٤)

((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)) (٥)

((من يرد الله به خيرا يفقهه وانما العلم بالتعلم)) (٦)

((قال مالك بن الحويرث قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم " ارجعوا الى اهليكم فعلموهـــــم)) (٧)

وقد روى عن لسان الرسول بعض الاحاديث التي فضل فيها العلم على العبادة اذ قال "

((نوم على علم خير من صلاة على جهل)) (٨)

((مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة)) (٩)

---

(١) ابن ماجة المقدمة ١٧ : ٥

نقد النمري ٤ جامع ص ٩ . الغزي ٤ السدر ص ١٠٥

(٢) لم اجده في الكتب الست .

منهاج المتعلم ص ٧٩ .

(٣) لم اجده في الكتب الست .

الغزالي ٤ احياء ٤ ج ١ ص ٥

(٤) ابن ماجة ٤ المقدمة ١٧ : ٤ . البخاري ٤ العلم : ١٠

الغزالي ٤ احياء ج ١ ص ٥ ــ ٧ . النمري ٤ جامع ص ٢١ . ابن جماعة ٤ تذكرة ص ٦ ٤ ٧

(٥) البخاري ٤ فضائل القرآن : ١٩

البيهقي ٤ تحرير ص ٩ ــ ٢٢ . القابسي ٤ احوال ص ١٨

(٦) البخاري ٤ العلم : ١٠

(٧) البخاري ٤ العلم : ٢٥

(٨) لم اجده في الكتب الست .

العلموي ٤ المعيد ص ٥

(٩) لم اجده في الكتب الست .

العلموي ٤ المعيد ص ٦

((قليل العلم خير من كثير العبادة)) (١)

((وقه صلى الله عليه وسلم لما ذكر عنده رجلان احدهما عابد والآخر عالم فقال * فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم)) (٢)

((حضور مجلس عالم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة ، قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل ينفع القرآن الا بالعلم)) (٣)

وروى عن النبي الى جانب احاديثه بعض القصص والاعمال التي تظهر لنا مبلغ ما كنه الرسول للعلم والعلماء من احترام وتقدير ، فقد روت لنا المصادر ((بان رسول الله دخل يوما الى مسجد فراى فيه مجلسين ، في الاول كان الناس يدعون الله ويسألونه ، وفي الثاني كان الناس يتعلمون الفقه فقال النبي * اما هؤلاء فيدعون الله عز وجل فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم ، واما هؤلاء فيعلمون الناس . وانما بعثت معلما ثم ذهب اليهم وجلس بينهم)) (٤)

وقد احتذى الائمة ورجال العلم في الصدر الاول من الاسلام حذو الرسول في بيان فضيلة العلم والمعلم ، وذهبوا مذهبه في تفضيل العلم على العبادة ، فقد روى عن ابي هريرة انه قال * ((لان اجلس ساعة فاتفقه في ديني احب الي من ان احيي ليلة الى الصباح)) (٥)

وعن الامام الشافعي انه قال ((طلب العلم افضل من صلاة النافلة)) (٦)

---

(١) حديث ضعيف ، السيوطي ، الجامع الصغير ، حرف / ق /
المناوي ، الفيض ص ١٠٩ . العلموي ، المعيد ص ٦

(٢) سنن الدارمي ، المقدمة : ٣٢
ابن جماعة ، تذكرة ص ٦

(٣) ابن ماجة ، المقدمة ١٦
الغزالي ، احياء ج ١ ص ٦

(٤) ابن ماجة ، المقدمة ١٧ : ١
الغزالي ، احياء ج ١ ص ٩ . النمري ، جامع ص ٢٥

(٥) النمري ، جامع ص ١٨

(٦) النمري ، جامع ص ١٨

وعن علي ابن ابي طالب قوله ((العالم افضل من الصائم القائم المجاهد ، واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلم لا يسده الا خلف منه)) (١)

وقد روى عن الامام مالك بن انس انه كان يجلس في المسجد يقرأ العلم على طلابه فحان وقت صلاة الظهر ، فجمع احد الطلاب كتبه راغبا في الصلاة فقال له مالك :

((ياهذا ما الذي قمت اليه بافضل مما كنت فيه اذا صحت النية)) (٢)

قال الاحنف بن قيس ((كاد العلماء ان يكونوا اربابا وكل عز لم يوجد بعلم فالى ذل مصيره)) (٣)

وقال الامام ابو حنيفة :

((ان لم يكن الفقهاء العاملون اولياء الله فليس لله ولي)) (٤)

ولعل قول وهب بن منبه وهو احد مؤرخي الصدر الاول من الاسلام يبين بوضوح نظرة المسلمين الاوائل الى العلم والعلماء اذ يقول :

((يتشعب الفخر من العلم الشرف وان كان صاحبه دنيئا والعز وان كان مهينا والقرب وان كان قصيا ، والغنى وان كان فقيرا ، والنبل وان كان حقيرا والمهابة وان كان وضيعا — والسلامة وان كان سقيما)) (٥)

وكفى بالعلم فضلا ، كما قال الغزالي ، انه صفة الانسانية وعنوان الشرف : ((... لان الخاصة التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم ، فالانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة شخصيته ، فان الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه ... بل لم يخلق الا للعلم)) (٦)

هذا ، وان فضيلة العلم ، وما اسبغ عليه من قيمة في هذا العصر ، تبدو اكثر وضوحا عندما نرى الرسول يحرض طلبه في اكثر من حديث له :

---

(١) العلموي ، جامع ص ٦

(٢) الغزالي ، احياء ، ج ١ ص ٨ . الذهبي ، جامع ص ١٨

(٣) طاش كبرى زادة ، مفتاح السعادة ج ١ ص ٨

(٤) الذهبي ، الدر ص ١١١

(٥) العلموي ، المعيد ص ٦

(٦) الغزالي ، احياء ، ج ١ ص ٧

((طلب العلم فريضة على كل مسلم))(١)

((اطلبوا العلم ولو بالصين))(٢)

وان ما تعور به العلم من فضل حدا ببعض العلماء ان يأبوا على المعلم القاء المعرفة لمن ليس باهل لها وقد استشهدوا بالقول الذي عيسى في هذا الصدد :

((وعن عكرمة قال قال عيسى عليه السلام لاتطرح اللؤلؤ الى الخنازير فان الخنازير لا يصنع باللؤلؤ شيئا ولا تعطي الحكمة لمن لا يريدها فان الحكمة خير من اللؤلؤ ومن لا يريدها شر من الخنازير))(٣)

وفي مكان آخر :

((قال عيسى بن مريم لا تضع الحكمة اهلها فتأثم ولا تضعها عند غير اهلها فتجهل وكن طبيبا رفيقا يضع دواءه حيث يعلم انه ينفع))(٤)

---

(١) ابن ماجة ، المقدمة ١٧ : ٥

الدمرى ، جامع ص ٩

وقد اختلف العلماء في تفسير كلمة ((فريضة)) في هذا الحديث فذهب بعضهم الى ان كلمة فريضة يراد بها هنا كل ما يحتاج اليه المرء لمعرفة فروضه الدينية ، وكل ما يتعلق بشرائع دينه وسننه ، ومن هؤلاء الامام مالك بن انس ، وذهب البعض الآخر ومنهم الغزالي ، الى ان فرض طلب العلم هو فرض كفاية اى اذا قام به البعض سقط عن الكل فهو بمثابة الجهاد . ((الدمرى ، جامع ص ٩ — ١١)) . الغزالي ، فاتحة ص ٣٦))

((الزرنوجي ، تعليم ص ٩)) .

(٢) حديث ضعيف ، السيوطي ، الجامع الصغير حرف (ط) .

الغزالي ، احياء ج ١ ص ٨

(٣) الدمرى ، جامع ص ٥٦

قابل الكتاب المقدس ، مت ٧ : ٦

(٤) الدمرى ، جامع ص ٥٥

قابل الكتاب المقدس ، ١ م ٣ : ٢٧ ، ٢٣ : ١٣

٢— قيمة العلم ومدلوله الاجتماعيـــة

لقد أسبغ الدين الاسلامي على العلم والعالم لونا خاصا من التقدير والاحترام ، كما اعتبره مستحقا لثواب الحياة الآخرة ، فالقرآن يصف العالم بأنه أقرب الناس الى معرفة الحقيقة وأدومهم للتقرب الى الله (١) .

((ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق)) (٢)

((والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا)) (٣)

((بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم)) (٤)

والله حينما اختار النبي خصه بصفة العلم "

((ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم وفي الجسم)) (٥)

والاحاديث التي تشمل العلم بثواب الآخرة كثيرة منها "

((تعلم العلم حسنة)) (٦)

((افضل الصدقة ان يتعلم المرء علما ثم يعلمه اخاه)) (٧)

((ما تصدق المرء بصدقة افضل من علم ينشره)) (٨)

---

(١) الغزالي ، فاتحة ص ٣ ، ٤ واحياء ، ج ١ ص ١٠

(٢) سورة سبأ ، آية ٦

(٣) سورة آل عمران ، آية ٧

(٤) سورة العنكبوت ، آية ٤٨

(٥) سورة البقرة ، آية ٢٤٧

(٦) لم اجده في الكتب الست .

الغزى ، الدر ص ١٠٦ . منهاج المتعلم ص ٨٧

(٧) ابن ماجة ، المقدمة ٢٠ : ٥

الغزى ، الدر ص ١٠٧

(٨) لم اجده في الكتب الست .

الغزى ، جامع ص ٦٢ . الغزى ، الدر ص ١٠٧

((من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطى ثواب سبعين صديقا))(١)

وجاء في الحديث مصيرا اولئك العلماء الذين يشتغلون بعلمهم على غيرهم فتوعدهم بعذاب الآخرة ، قال النبي ((مثل الذي يعلم العلم ولا يحدث به كمثل رجل رزقه الله مالا فلم ينفق منه))(٢)

وقال ايضا ((من علم علما فكتم الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار))(٣)

وقال ((ما آتى الله عالما علما الا واخذ عليه الميثاق ما اخذ على النبي ان يبينوه للناس ولا يكتموه))(٤)

وقد استشهد بعض العلماء ، مدللين على ما تقدم بقول السيد المسيح "

((قال عيسى صلى الله عليه وسلم من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السموات))(٥)

هذا ، وقد اعتبر المعلم ايضا عاملا ضروريا في كيان التربية والتعليم ، فذهب بعض الكتاب الى القول بان التعلم من الكتب وحدها لا يؤدي الى نتائج مرضية ، اذا لم يكن تحت اشراف المعلم ، ولذا حذروا من الاعتماد على الكتب وحدها في الدراسة ، كما حذروا من طلب العلم ممن كانت دراسته عن الكتب وحدها دون الاعتماد على المعلم(٦) .

---

(١) لم اجده في الكتب الست .
الغزالي ، احياء ج ١ ص ١٠

(٢) ابن ماجة ، زهد : ١٥
الذهبي ، جامع ص ٦١

(٣) ابن ماجة ، المقدمة : ٢٤
الغزالي ، احياء ج ١ ص ٩

(٤) الدارمي ، المقدمة : ٥٦
الغزالي ، احياء ج ١ ١٠

(٥) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٩ . الذهبي ، جامع ص ٦١ . ابن جماعة ، تذكرة ص ١١
قابل الكتاب المقدس ، متى ٥ : ١٩

(٦) ابن جماعة ، تذكرة ص ٨٧ ، ١١٢ ، ١١٣ . الشرى ، الدر ص ٢١٩ .
الانصاري ، اللؤلؤ ص ٦

وكان عمدتهم في التعليم ((كلام الحي ، حي))(١)

قال احد الادباء ناصحا ولده

((خذ العلم من افواه الرجال ، فانهم يكتبون احسن ما يسمعون ، ويحفظون احسن ما يكتبون ، ويقولون احسن ما يحفظون))(٢)

وقد ذهب الصوفيون من المعلمين الى ابعد من ذلك فقالوا بان الشرط الاول والمهم من شروط التربية المريدين الصحيحة هو ان تكون عن طريق معلم صالح ، قال احدهم :

((لو ان رجلا بلغ اعلى المراتب والمقامات حتى يكشف له من الغيب فلا يكون له استغناء لا يجيء منه شيء))(٣)

وذهب آخر الى القول :

((ومن لم يكن له شيخ يقتدي به لا يفلح ابدا ، بل يكون امامه الشيطان ، فالشيخ يهديه الى سبيل مستقيم ، فان سبيل الدين غامضة وسبل الشيطان كثيرة ومهاوي التلف فيها اكثر ما لم تشمله العناية وبيده التوفيق ... وقد شبه المستقل بنفسه في طريقهم بالشجرة التي نبتت من نفسها فانها تجف عن قرب ، وان بقيت مدة او اورقت لم تثمر كالاشجار التي بالاودية ، واذا اثمرت لا يكون لفاكهتها طعم كفاكهة البساتين))(٤)

اما الغزالي فقد ذهب الى القول بان الانسانية تبقى ما بقي المعلم :

((لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم اى انهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية الى حد الانسانية))(٥)

ليس هذا فحسب ، بل اقام المعلم فوق رتبة الاب بالنسبة للمتعلم :

((وقال يحيى بن معاذ العلماء ارحم بامة محمد من آبائهم وامهاتهم قيل وكيف ذلك ؟ قال لان آباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الاخرة))(٦)

---

(١) المتطلف ، ٥٧ ص ٢١١

(٢) الزرنوجي ، تعليم ص ٦٠ ، منهاج المتعلم ص ٩٣

(٣) ابن داوود ، آداب .

(٤) البكري ، نظم ص ١٠٣ ، الشعري ، مقصد ص ٢٢

(٥) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٩

(٦) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٩

وهذا ما جعل الطلاب العرب ، يلجأون الى الرحلة في طلب العلم ، فيشهون في طول الامبراطورية الاسلامية وعرضها في البحث عن اشتهر من العلماء ، والاتصال باهل الاختصاص منهم[١] ، وقد جاء الحديث عن هذا الرحلة في طلب العلم في قول النبي :

((من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها ارضاء لطالب العلم)) (٢)

روى عن سعيد بن المسيب انه قال ((كنت لاسير الليالي والايام في طلب الحديث الواحد)) (٣)
وقال الشعبي ((لو ان رجلا سافر من اقصى الشام الى اقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رايت ان سفره قد ضاع)) (٤)

اما ما تتمتع به المعلم من منزلة اجتماعية رفيعة ، فيمكن معرفته من خلال بعض احاديث الرسول ومن خلال ما ذخرت به كتب الادب والعلم من تقدير له وتمجيد لعمله .
قال النبي :

((مثل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في البر والبحر فاذا طمست النجوم اوشك ان تضل الهدى)) (٥)

وقال ايضا :

((من عظم العالم فكانما يعظم الله تعالى ومن تهاون بالعالم فكانما ذلك استخفافا بالله تعالى ورسوله)) (٦)

وقال ((العالم امين الله في الارض)) (٧)

---

(١) Macdonald , Aspects , P . 303 .
(٢) ابن ماجة ، المقدمة ١٧ : ٤
(٣) الدمي ، جامع ص ٤٧
(٤) نفس المصدر والصفحة
(٥) لم اجده في الكتب الست .
الآجري ، قرض ص ١٨
(٦) لم اجده في الكتب الست
ابن جماعة ، تذكرة ص ١٠
(٧) لم اجده في الكتب الست .
الدمي ، جامع ص ٢٦

ويرى النبي بأن امة قد خلت من العلماء هي امة مآلها الى الخراب

((ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا)) (١)

كما انه يرى بأن العالم يوازي في قيمته قبيلة برمتها

((لموت قبيلة ايسر من موت عالم)) (٢)

اما ما قاله العلماء في هذا السبيل فكثير ، وابتداءه بقول علي بن ابي طالب اذ قال :

((انا عبد من علمني حرفا واحدا ، فان شاء اعتق وان شاء استرق)) (٣)

وقال الاحنف ((كاد العلماء ان يكونوا اربابا)) (٤)

اما الغزالي فانه يرى بان المعلم ((كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب)) (٥)

وقد وجدوا من كلام الاوائل تمجيدا لمركز المعلم فاستشهدوا به اذ قال احدهم :

((قيل للاسكندر ان تعظيمك لمؤدبك اشد من تعظيمك لابيك فقال ان ابي سبب حياتي الفانية وان مؤدبي سبب حياتي الباقية)) (٦)

كما وضع بعضهم العلماء فوق مرتبة الملاك

((الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك)) (٧)

---

(١) صحيح مسلم ، العلم ص ٥

الجاحظ ، البيان ، ج ١ ص ٢١٣

(٢) لم اجده في الكتب الست .

الغزالي ، احياء ج ١ ص ٢١٣

(٣) الزرنوجي ، تعليم ص ٢٠

(٤) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٨

(٥) نفس المصدر ، ج ١ ص ٥٢ ، ٥ — ١٢

(٦) العلموي ، المعيد ص ١٣

(٧) ابن قتيبة ، عيون ، ج ١ ص ١٢١ . الغزالي ، فاتحة ص ٦ . ابن جماعة ، تذكرة ص ١٠

وان ما تتمتع به المعلم من منزلة اجتماعية رفيعة جعلت بعضهم يتهم طلبه معاشرته للسلاطين او ذهابه بالعلم الى بيوت المتعلمين ، قال احد العلماء :

((هوان بالعلم ان يحمله العالم الى بيت المتعلم)) واضاف بعضهم ((وان كان المتعلم خليفـــة))(١)

وقال آخر

((اذا رايتم العالم يخشى الامراء فاحتاروا منه فانه لص))(٢)

وقال ثالث

((لاشيء ابغض الى الله تعالى من عالم يزور اميرا))(٣)

وقد استشهدوا بالحديث التالي للتدليل على وجهة نظرهم تلك :

((قال صلى الله عليه وسلم العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلاطين فان فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم))(٤)

ونجد الى جانب اقوالهم تلك قصصا كثيرة روجت لبيان ما تتمتع به المعلم من مركز رفيع واليك بعضها

((حضر بعض اولاد الخليفة المهدي عند شريك (وهو احد الائمة الاعلام) فاستند الى الحائط وساله عن حديث فلم يلتفت اليه شريك ثم عاد ، فعاد شريك بمثل ذلك ، قال استخف باولاد —

---

(١) الغزالي ، فاتحة ص ٢٢ . النووي ، البيان ص ١٨٣ . ابن جماعة ، تذكرة ص ١٦ — ١٧
ويرى الغزالي بانه لا يجوز للمعلم زيارة السلاطين الا لضرورات ثلاث :
١ — ان يكون من السلطان امر الزام لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع لاضطرب امر السياسة .
٢ — دفع الظلم عن مسلم معين .
٣ — النصيحة على العموم اذا علم مسيس الحاجة اليه وكان مقبول القول عندهم .
((الغزالي ، فاتحة ص ٢٦)) .

(٢) الغزالي ، احياء ، ج ١ ص ٥٧

(٣) النمري ، جامع ص ٨٥ — ٨٨ . الغزالي ، فاتحة ص ٢٣ — ٢٤ . الغزي ، الدر ص ١٤٠

(٤) لم اجده في الكتب الست .
الغزالي ، فاتحة ص ٢٣ . النمري ، جامع ص ٨٧

الشافعي ؟ قال شوبك لا ، ولكن العلم اجل عند الله من ان اضيعه ، فجثى على ركبته فقال شوبك هكذا يطلب العلم)) (١)

وروت قصة اخرى على لسان مالك بن انس صاحب الموطأ قال :

((دخلت على هارون الرشيد فقال لي يا ابا عبدالله ينبغي ان تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ ، فقلت اعز الله مولانا الامير ان هذا العلم منكم خرج فان انتم اعززتموه عز وان انتم اذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتي ، فقال صدقت ، فاخرجوا الى المسجد — موجها حديثه الى اولاده — حتى تسمعوا مع الناس)) (٢)

((روى ان هارون الرشيد دعا ابا معاوية الضرير فصب الرشيد على يديه من الطست فلما فرغ قال يا ابا معاوية ، اتدري من صب على يديك ، قال لا ، قال امير المؤمنين ، فقال يا امير المؤمنين انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك)) (٣)

واليك قصة رواها ابن قتيبة توضح لنا قلة الاهتمام بالعلم من العلم ، والتهيب الشديد في حضرة العلماء :

((كان الوليد يلاعب عبدالله بن معاوية بالشطرنج فاستأذن عليه الفقيه موصوف بالثروة ، فستر الشطرنج بمنديل ، فلما دخل وجلس استطعمه فقال احفظت القرآن وشيئا من الفقه ؟ قال لا قال افرويت شيئا من الاثار والاشعار وايام العرب ؟ قال لا ، فكشف الشطرنج وقال شاهمك — اي بداء اللعب — فقال له عبدالله بن معاوية يا امير المؤمنين ، قال اسكت فما معنا احد)) (٤)

على اننا نقف في بعض كتب الادب ، الى جانب ما رأينا من تمجيد للمعلم ووصف لمنزلته الاجتماعية الرفيعة ، على نعوت للمعلم حقيرة واقوال تستخف به ، وامثال تحط من قدره ، وخاصة بمن اختص بتعليم الصبيان ، فالجاحظ ينقل بان جملة ((احمق من معلم)) ذهبت مثلا بين العامة (٥) وان بعض الحكماء كان يقول ((لا تستشيروا معلما ولا راعيا)) (٦)

---

(١) ابن جماعة ، تذكرة ص ٨٨ — ٨٩ ، الغزي ، الدر ص ١٩٧

(٢) الغزالي ، احياء ، ج ١ ص ٢٩

(٣) اليوسفي ، نهج ص ٤٤

(٤) ابن قتيبة ، عيون ، ج ١ ص ١٢٠ — ١٢١ .

(٥) الجاحظ ، البيان ، ج ١ ص ٢٠١

(٦) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٠١

وذهبت بعض المصادر الى وضع المعلم في مستوى واحد مع الحائك والراعي والقاعد الذين يمارسون احط انواع الصناعات في رأي العرب(١) .

اما ابن الجوزي (توفي ٥٣٧ هـ) فقد ذهب الى ابعد من ذلك ، فهو حين يحدد قائمتي الحمقى والعقلاء يضع المعلم في زمرة الحمقى ويقول بأن عقل امرأة واحدة يوازي سبعين عقلا من عقل الحائك ، وان عقل حائك يوازي سبعين عقلا من عقل معلم الصبيان(٢) .

ويعلق بعض الادباء على هذه الظاهرة الاجتماعية بآراء مختلفة ، فالجاحظ يقول :

((ان المعلمين على ضربين ، منهم رجال ارتفعوا عن تعليم اولاد العامة الى اولاد الخاصة ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم اولاد الخاصة الى تعليم اولاد الملوك انفسهم المرشحين للخلافة ، فكيف تستطيع ان تقوم ان عقل الكسائي واشكاله حمقى ؟ ... ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التي دونهم))(٣) .

ويحد ان يستثني الجاحظ هذه الطبقة من المعلمين ، يذهب الى معلمي الصبيان فيقول فيهم :

((فأن ذهبوا الى معلمي الكتاتيب في القرى فأن لكل قوم حاشية وشعلة ، فما هم في ذلك الا كغيرهم))(٤) .

اما ابن خلدون فأنه يرجع ظاهرة احتقار العرب للمعلم الى احتقار العرب للصناعات بصورة عامة ويعني احتقار العرب للمعلم بصورة خاصة ، ويسوق دليله على ذلك كما يلي :

((ولم يكن العلم بالجملة صناعة انما كان عقلا لما سمع من الشارع وتعليما لما جهل من السمعيات على جهة البلاغ ، فكان اهل الانساب والعصبية الذين قاموا بالملة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على معنى التبليغ الشفوي لا على وجه التعليم الصناعي ... لا تصدهم عنه لائحة الكبر ولا يؤنفهم حامل الانفة ... فما استقر الاسلام وتشجعت عروق الملة حتى تناولتها الامم البعيدة من أيدي اهليها واستطالت بمرور الأيام احوالها وكثر استنباط الاحكام الشرعية من النصوص ... فأصبح —

---

(١) الجاحظ ، البيان ج ١ ص ٢٠٩

(٢) GOLDZIHER , ((EDUCATION _ MUSLIM)) E . R . E .

ابن حجة الحموي ، ثمرات الاوراق (على هامش محاضرات الادباء للاصبهاني) ج ١ ص ١٩٤

(٣) الجاحظ ، البيان ، ج ١ ص ٢٠٩ .

(٤) نفس المصدر ، والجزء والصفحة .

فأحتاج ذلك لقانون يحفظه من الخطأ وصار العلم حاجة يحتاج الى التعليم فأصبح من جملة الصنائع والحرف ... وشعشت انوف المترفين واهل السلطان عن التصدى للتعليم واختص بتحاله بالمستضعفين وصار منتحله محتقرا عند اهل العصبية والملك ...)) (١) .

ويجدر بنا ان نذكر هنا ، بأن ظاهرة احتقار المعلم الابتدائي لم تكن صفة خاصة بالعرب بل سبق اليونان والرومان ان وقفوا من معلمي الصبيان الموقف الذى وقفه العرب منهم ، فنجد مثلا بأن المعلمين الذين كانوا يقومون بتعليم صبيان (اثينا) القراءة والكتابة ، والذين كانوا يعرفون بأسم ((GRAMMATIST)) لم يتمتعوا بالاحترام ، وكذلك كانت حالة معلمي صبيان (روما) الذين عرفوا بأسم ((LUDI MAGISTER)) وكثيرا ما كان هؤلاء عرضة للسخرية والتهكم (٢) .

---

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٣٠

(٢) GOLDZIHER ; ((EDUCATION _ MUSLIM)) E . R . E .
CUBBERLY , HISTORY OF EDUCATION , PP . 63 _ 65 .

الفصـــــل الثانـــــــي

فلسفة المعلـــم

ان تحليل المذاهب العربية المختلفة في التعليم تظهر لنا اغراضا للتعليم مختلفة ، وفلسفة للمعلمين متنوعة ، وقد حاول بعض الاساتذة المعاصرين حصر هذه الاغراض وبيان وجهها واساسها فالاستاذ خليل طوطح قسم هذه الاغراض الى اربعة اقسام دينية ، واجتماعية ، وعقلية ، ونفعية(١) اما الاستاذ احمد فؤاد الاهواني صاحب كتاب ((التعليم في راي القابسي)) فيذهب الى القول بان التعميم في بيان اغراض التعليم عند العرب ، هو فكرة خاطئة ، لان امر التعليم اختلفت باختلاف الاقاليم اولا ، ومن ثم باختلاف الاشخاص القائلين بها ثانيا ، فالى جانب اهل السنة من المعلمين الذين شكلوا الاكثرية المطلقة في الاسلام ، وجدت طوائف اخرى فكرت بطريقة مختلفة عن اهل السنة ، كالمعتزلة والفلاسفة من امثال اخوان الصفا وغيرهم ، والمتصوفين ، ولكل منهم مذهبه الخاص في التعليم ، والراي الصحيح ، عند الاستاذ الاهواني ، لبيان الآراء الاسلامية المختلفة في اغراض التعليم هو ان نردها الى المذاهب العقلية التي كان اصحاب هذه الآراء يعتنقونها من جهة ومن ثم ملاءمة هذه الآراء لحالة المجتمع من جهة اخرى(٢)

ويقول الاستاذ الاهواني ايضا بان اغراض التعليم لم تكن واحدة خلال العصور الاسلامية المختلفة ، فغاية التعليم في القرن الاول تختلف عنها في القرن الرابع او الخامس لان المسلمين لم يقصدوا في صدر الاسلام الى غرض نفسي او مادي من التعليم بل كان غرضهم الاول هو خدمة الدين ونشره في الاقاليم(٣) .

وسواء كانت آراء المربين العرب في اغراض التعليم واحدة ام مختلفة باختلاف مذاهبهم العقلية ، وسواء اتفق هؤلاء المربين على صحة بعض هذه الاغراض ام خالفها البعض الآخر ، فان علينا ان نبين هذه الاغراض ، لان مهمتنا كما اوضحنا في مقدمة رسالتنا هذه تنحصر في بيان ما توصل اليه الفكر العربي بصورة عامة من مثل تربوية ، وعلى ذلك يمكننا حصر فلسفة المعلم واغراضه في التعليم بما يلي :

---

(١) Toth . a , Contribution PP . 84 _ 85 .

(٢) الاهواني ، التعليم ص ٢٣١ — ٢٣٢ .

(٣) الاهواني ، التعليم ص ٢٣٧ .

١ — غرض التعليم الديني

لقد كانت الغاية الاولى والاساسية للمعلم تنحصر في خدمة الله ابتغاء لوجهه ، وليست للحصول على اغراض دنيوية من ثروة او جاه اومركز اجتماعي او اى مطمع دنيوى آخر ، وقد كانت هذه غاية المعلم كما كانت غاية الطالب على حد سواء ، واية غاية اخرى للتعليم تعد ضيعة للوقت وتقليلا من فائدة العلم(١) . وقد استشهد بعض العلماء ببعض آيات القرآن الكريم ليعتبروا ضرورة توخي وجه الله في العلم والتعليم وما ذكره في ذلك :

((من كان يريد حرث الاخرة نزد له من حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب)) (٢)

كما استشهد البعض الآخر باحاديث النبي حين قال :

((من تعلم علما لغير الله واراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار)) (٣)

((عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان اول الناس يقضي يوم القيامة ثلاثة وذكر القلاة وفيهم رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها ، قال فما علمت فيها ، قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكن تعلمت ليقال عالم وقرأت ليقال قارئ فقد قيل ، ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار)) (٤)

((من طلب العلم ليماري به السفهاء او يباهي به العلماء او ليصرف وجوه الناس اليه فهو في النار)) (٥)

---

(١) الغزالي ، احياء ج ١ ص ١٥ .

(٢) سورة الشورى ، آية ٢٠ .

(٣) ابن ماجة ، ٢٣ : ١٠

ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١١٩ ، ١٢٢ . الغزى ، الدر ص ١١٦ .

(٤) لم اجده في الكتب الست .

ابن جماعة ، تذكرة ص ١٤ . الغزى ، جامع ص ١٥ . الغزالي ، فاتحة ص ٩ ، ١٠

(٥) ابن ماجة ، ٢٣ : ٤ . الدارمي ، المقدمة ، ٣٣ . الترمذي ، العلم : ٦

قال الخليل بن احمد ((من ظن ان للعلم غاية لقد بخسه حقه))(١)

وقد ورد القول التالي على السن كثير من العلماء لنفي كل غاية للعلم خلا وجه الله :

((طلبنا العلم لغير الله تعالى فابى العلم ان يكون الا لله))(٢)

كما ذهب بعضهم الى القول :

((بان غاية العلم اذا كانت لغرض دنيوي فانها زائلة بزوال هذا الغرض اما اذا كانت خالصة لوجه الله فهي مستمرة خالدة))(٣)

ولكن ما معنى ابتغاء وجه الله في التعليم ؟ وكيف يستطيع المعلم ان يتأكد من صفاء نيته وتجرد غايته عن الاغراض الدنيوية وجعلها خالصة لوجه الله ؟ واخيرا هل هذه الغاية تنطبق على كل انواع العلوم ام على انواع مخصوصة من العلوم ؟ .

لندع الغزالي يشرح لنا ابتغاء وجه الله في التعليم اذ يقول :

((واما ارادته (يتكلم عن الامام الشافعي) وجه الله تعالى فيدل عليه ما روي انه قال وددت ان الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب الي منه شيئا ، فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم به وكيف كان حذره القلب عن الالتفات اليه بمجرد النية فيه ... وقال الشافعي ما كلمت احدا قط واحببت ان يبين —

---

(١) الحري ، جامع ص ٤٥ .

(٢) الغزالي ، احياء ج ١ ص ١٦ . العبدري ، مدخل ج ٢ ص ٤ — ٥ .

وقد فسر العلماء هذا القول بتفاسير شتى ، فالغزالي يقول في تفسيره : بأن العلم لي واضح فلم تنكشف لنا حقيقته واما حمل لنا حديثه والفاظه (احياء ج ١ ص ١٦) .

اما العبدري فيقول بامكان تفسيره على وجهين احدهما وهو الظاهر ان طالب العلم كان جاهلا لا يعرف واجبات الشريعة فلما تعلم العلم ادرك هذه الواجبات واتبع القواعد التي نص عليها الشرع ، والتفسير الآخر هو ان الرجل قد يطلب العلم لغاية دنيوية فلا يلبث اذا ما تعمق في طلب العلم ان يرتد الى جادة الصواب لان العلم يأبى ان يكون الا لله وحده (العبدري ، المدخل ج ١ ص ٤ — ٥) .

(٣) الغزالي ، فاتحة ص ١٠ . النووي ، آداب ، المقنبس ٧ ص ٢٨٥ .

الله الحق على لساني او على لسانه ... فهذه العلامات هي التي تدل على ارادة الله »[1]
ومن ثم يقول في مكان آخر :

« قال الشافعي اني شهدت مالكا وسئل عن ثماني واربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا ادري ، ومن يريد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري »[2]

وقال في مكان آخر :

« ان تصحيح النية في طلب العلم ، هو اول واجب المتعلم والمعلم فان تحصيل العلم عبادة ، بل هو افضل العبادات واصل العبادات كلها النية ... فان نوى عبادة الله تعالى بعلمه لاجتلال امره وابتغاء مرضاته فله ما نوى وان نوى غرضا من اغراض الدنيا فقد فاتت العبادة ولم يساوى حاله حال من لم يعمل به يستوجب النار ... فانه انما اراد بالعبادة التي هي لله غير الله »[3]

واذا كان المعلم في شك من صفاء نيته وجود غايته خالصة لوجه الله فما عليه الا ان يمتحن نفسه بالاسئلة التالية :

١ — اذا ظهر بين زملائه من هو افضل منه واغزر علما ، واقدر على الارشاد والدعوة الى الصلاح وكان من نتيجة ذلك ان انصرف اليه بعض طلابه للاستفادة منه ، فماذا يكون موقفه ؟ اذا وجدت الغيرة مجالا الى قلبه ، والحزن فراغا من نفسه فهو بلا شك لا يقصد وجه الله تعالى بعلمه بل يسعى الى الكسب والنفع الشخصي[4] .

٢ — اذا سئل المعلم عن مسألة لا يعرفها ، او كانت معرفته بها يحوطها الشك فماذا يكون جوابه ؟ اذا لم تكن لديه الجرأة على الاعتراف الصريح بجهله ، فهو لا يريد بعلمه وجه الله بل يريد الجاه والشهرة[5] .

---

(١) الغزالي ، فاتحة ص ٣٢ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٣٣ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٨ — ٩ .
(٤) نفس المصدر ، ص ١٥ ، ٣٢ . الدرة الثمينة ص ١٨٤ . البيكاني ، نهج ص ٨٥
(٥) الغزالي ، فاتحة ص ٣٣ . الغزي ، الدر ص ٢٥ . البيكاني ، نهج ص ٨٨ — ب ، ٨٩

٣ــ اذا صدف واشترك المعلم في نقاش ما ، فهل هو يحاول بنقاشه ان يكشف عن الحقيقة ؟ ام يقف موقف الشخص العنيد الذي يهمه التغلب على خاطره ليربح المناظرة ، فيكون رأيه هو الصائب ؟ اذا وقف المعلم الموقف الثاني فهو لا يريد بعلمه وجه الله (١) .

٤ــ يريد المعلم بعلمه وجه الله اذا صان كرامته واحترم نفسه حين اتصاله بالملوك والامراء شأن القدماء من اهل العلم (٢) .

٥ــ ما هو موقف المعلم تجاه من اخل بواجبه نحو من الطلاب ؟ او ذهب الى ابعد من ذلك فخالف دروسه واخذ يستهزئ على غيره من المعلمين ؟ اذا وقف من هذا الطالب موقف حقد او الم او غيبة ، او اخذ يذكره بما هو فيه هين ، او سأله شكرا او تعويضا لقاء خدماته السابقة ، فلا شك بانه لا يريد بعلمه وجه الله (٣) .

بقي ان نعرف هل تنطبق هذه الغاية على كل فروع العلوم ام على فروع خاصة منها ؟ يقول الغزالي مجيبا على ذلك :

((هو مخصوص بالعلوم الدينية التي هي من جملة العبادات فاما ما ليس من العلوم الدينية كالطب والحساب فلا يحرم ان يقصد بتعلمه الجاه وكسب المال واما ما هو من العلوم الدينية كالتفسير والاخبار وعلم الفقه والاصول والكلام فلا يجوز تعلمها لغير الله ... والنحو واللغة لا يتعلق بعلم الدين ولكنه آلته وليس بمقصود فينبغي ان يلحق بالحساب والطب في انه يجوز تعلمه لكسب المال والجاه)) (٤)

ويجد عند التلمساني وهو احد علماء القرن الرابع الهجري ، ما يشابه رأي الغزالي فيما يتعلق بتحديد ارادة وجه الله بالعلوم الدينية (٥)

---

(١) الغزالي ، فاتحة ص ٣٢ ، واحياء ج ١ ص ٢٤ . النووي ، التبيان ص ١٨٤ الغزي ، الدر ص ١٣٧ .

(٢) الغزالي ، فاتحة ص ٣٤ .

(٣) الغزالي ، فاتحة ص ١٢ ، ١٤ . العبدري ، المدخل ج ١ ص ٣٢٥ ، ج ٢ ص ١٥٦

(٤) الغزالي ، فاتحة ص ١٥ .

(٥) التلمساني ، اجوبة ص ٤٤ ــ ب ، ٤٥ ــ ا ، ٤٥ ــ ب

بقي علينا ان نبحث مسألة تقاضي الاجرة على التعليم ، لما لها من ارتباط وثيق بغرض التعليم الديني وقد كانت هذه المسالة ، اى مسالة تقاضي الاجرة على التعليم ، موضوع نقاش طويل بين علماء المسلمين وفقهائهم ، واختلافهم ذاك انحصر في مجال العلوم الدينية فقط ، اما العلوم الدنيوية فقد اجمعوا على جواز تقاضي الاجرة عليها(١) .

وان فرض التعليم الديني فرض على اكثر العلماء فكرة التعليم الديني المجاني ، فاستشهد بعضهم بالآية التالية للتدليل على عدم جواز اخذ الاجرة على التعليم الديني :

((وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين))(٢)

كما عمد البعض الآخر الى الاحاديث النبوية ، لاثبات وجهة نظرهم تلك ، وذلك من امثال :

((من اخذ على القرآن اجرا فذلك حظه من القرآن))(٣)

((قيل يا رسول الله ما تقول في المعلمين قال درهمهم حرام))(٤)

((اقرأوا القرآن ولا تأكلوا به))(٥)

وذهب الغزالي الى القول بان ليس للمعلم اية منة على طلابه ، بل هو مدين لهم بالشيء الكثير لانهم قد مهدوا له الطريق الى الله ، بما اخذوه من علوم ، وما هذبوا قلوبهم بواسطته — ويستطرد الغزالي قائلا :

((لان تتقرب الى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذي يعمر الارض لتزرع فيها بنفسك زراعة ، فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض فكيف تشاهده منة ؟))(٦) .

---

(١) الغزالي ، نصيحة ص ١٥ ، ١٦ . القابسي ، احوال ص ٤٣ — ١ ، ٤٤ — ١ ، ٤٦ — ب
البيهقي ، تهجج ص ٧٦ .

(٢) سورة الشعراء ، الايات ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٦٤ ، ١٨٠ .

(٣) لم اجده في الكتب الست .
البيهقي ، تصوير ص ٣٣ .

(٤) لم اجده في الكتب الست .
البيهقي ، تصوير ص ٣٣ .

(٥) البخاري ، فضائل القرآن ٣٦

(٦) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٥٣

ولكن بينما كانت المثل العليا الدينية تحث على التعليم الديني المجاني ، تراها على مر الزمن تبتعد عن مجرى الحياة العملية ، فيهم الاجر على التعليم بعد ان دعمه بعض العلماء بأقوال الائمة والفقهاء (١) . وقد ذهب بعضهم الى ذكر بعض الاحاديث النبوية لتبرير اخذ الاجرة على التعليم الديني ، من امثال :

((قالوا يا رسول الله اخذ على كتاب الله اجرا فقال احق ما اخذتم عليه اجرا كتاب الله)) (٢) .

((قال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي خطب المرأة فلم يجد لها مهرا : زوجتكها بما معك من القرآن)) (٣)

((عن النبي حينما سئل بشأن جماعة اخذوا اجرا على قراءة القرآن قال لهم : اتسعوا واشهروا لي معكم سهما)) (٤)

كما ساق بعض العلماء ، اسبابا وجيهة لتبرير اخذ اجر على التعليم اهمها :

١ــ هنالك خطر ضياع العلم اذا لم يبذل المعلم ثمن تعليمه ، وذلك لندرة وجود المعلمين الذين يحبذون التعليم دون مقابل ، ولهذا ((فلا وجه لتضييق ما لم يات فيه ضيق))(٥)

٢ــ التعليم ، في اكثر الاحيان ، هو وسيلة المعلم الوحيدة لكسب العيش (٦)

٣ــ غالبا ما يستلزم التعليم من الوقت والجهد ، ما لا يسمح بكسب القوت باي طريقة اخرى(٧)

---

(١) Goldziher , ((Education _ Muslim)) E . R . E .

(٢) البخاري ، الاجارة ص ١٦
البيهقي ، تحرير ص ١٢

(٣) البخاري ، فضائل القرآن ٢٠
البيهقي ، تحرير ص ١٢

(٤) البخاري ، الاجارة ١٦
البيهقي ، تحرير ١٢

(٥) التنبسي ، احوال ص ٣٣ ــ ب . العبدري ، المدخل ج ٢ ص ١٦٠ .

(٦) التنبسي ، احوال ص ٣٣ ، ٣٤ ــ ب . ابن جماعة ، تذكرة ص ٢٠٩ .

(٧) ابن جماعة ، تذكرة ص ٢٠٩ . البيهقي ، تحرير ص ٣٤ ــ ب

بيد انه لا بد لجواز اخذ الاجر على التعليم من التحفظات التالية :

١ـ ليحذر المعلم من جعل الاجر غايته الاولى(١) .

٢ـ وليحذر من ابرام اتفاق يحدد بموجبه عطاء معينا ، بل عليه ان يقبل بعبداء العطاء الحر(٢)

٣ـ وليحذر من اهمال اداء واجبه اذا صدف ولم يتفاض على تعليمه اجرا(٣) .

٤ـ عليه ان لا يقبل من طلابه عطاء معينا دون مشورة آبائهم(٤)

٥ـ واخيرا عليه ان يحترس من اخذ الاجرة من اولياء الطلاب ، الذين يشعر بأن مالهم قد اتى عن طريق غير شرعي لان مالهم ذاك هو مال حرام(٥) .

---

(١) القليبي ، احوال ص ٣٦

(٢) العبدري ، المدخل ج ٢ ص ١٥٨ . البوكاني ، نهج ص ٧٦ .

(٣) العبدري ، المدخل ج ١ ص ٣٥٢ . ضياء الانوار ص ٤٤ .

(٤) العبدري ، المدخل ج ٢ ص ١٦١ .

(٥) العبدري ، المدخل ج ٢ ص ١٥٩ .

٢ــ غرض التعليم الاجتماعي

لقد تجلى غرض التعليم الاجتماعي عند العرب في ناحيتين اولاهما الرغبة في نفع الانسانية برفع مستوى السعادة العقلي والخلقي ، والثانية الرغبة في المركز الاجتماعي الرفيع .

آ ــ الرغبة في نفع الانسانية :

لقد ناط العلماء العرب بالمعلمين مسؤولية نقل التراث الاجتماعي من دين ومعارف وعادات وتقاليد الى الناشئين من الاجيال ، وذلك عن طريق التعليم ((الذي هو الاصل الذي به قوام الدين والدنيا به يؤمن من احماق العلم))(١)

قال الحسن البصري وهو احد كبار علماء القرن الثامن الميلادي :

((لولا العلماء لصار الناس كلهم بهائم))(٢) .

وعلق الغزالي على هذه الفكرة قائلا :

((لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم ، اي انهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية الى حد الانسانية))(٣) .

وقد تناول ادباء آخرون هذه الفكرة بالشرح فكتب احدهم :

((العلم مختص بالانسانية لان جميع الفضائل سوى العلم يشترك فيها الانسان وسائر الحيوانات كالشجاعة والقوة والشفقة وغير ذلك . ومن هذا قال عليه السلام الناس عالم او متعلم والباقي همج))(٤)

وذلك ، لخدمة الانسانية برفعها الى مستوى اعلى من الثقافة والمدنية كانت هدفا آخر سعى اليه العلماء ، ويحصل ذلك عندما يسعى طالب العلم ((لازالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال))(٥) ، وعندما يهدف المعلم في تعليمه الى ارضاء الله ((وال نشر العلم وزيادة عدد الفقهاء وقليل الجهلة))(٦)

---

(١) النووي ، آداب ، المقدمة ج ١ ص ٢٨٥ . الغزي ، الدر ص ١٦٢ .

(٢) منهاج المتعلم ص ٨٦ .

(٣) الغزالي ، احياء ج ١ ص ١٠ . العبدري ، المدخل ج ١ ص ٥٢ .

(٤) الزرنوجي ، تعليم ص ٥ . منهاج المتعلم ، ص ٨٠

(٥) منهاج المتعلم ص ٩١ ــ ب .

(٦) طاش كبرى زادة ، مفتاح السعادة ج ١ ص ٣٣ .

ب — الرغبة في المركز الاجتماعي الرفيع :

على الرغم من الطابع الديني لاكثر العلماء على فرض التعليم الديني ، وعدم تعميمهم جعل العلم مطية للمركز الاجتماعي والجاه الرفيع ، فان سياسة الامر الواقع جعلت من فرضهم ذلك شعارا نظريا الفى بعيدا عن مجرى الحياة العملية (١) . ويدلك على ذلك ما رواه الغزالي من انه :

((روى سفيان الثوري حديثا فقيل له مالك فقال صرفا هجرا لاهل الدنيا بادروا احدهم حتى اذا تعلم جعل قاضيا او عاملا او قهرمانا)) (٢)

وهكذا بدأنا نسمع كلمات من امثال ((الجاه)) و ((العز)) و ((المال)) و ((الشرف)) تتردد على السن العلماء كغرض للعلم .

قال وهب ((يتشعب من العلم الشرف وان كان صاحبه دنيا ، والعز وان كان مهينا ، والقرب وان كان قصيا والغنى وان كان فقيرا والمهابة وان كان وضيعا)) (٣) .

وقال ابو الاسود الدؤلي ((ليس شيء اعز من العلم ، الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك)) (٤) .

وقال ابن المقفع ((اطلبوا العلم فان كنتم ملوكا سرتم وان كنتم سوقة عشتم)) (٥)

ونحن لا ندري هل بدأ العلماء يروجون لمثالثة هذا الغرض الاجتماعي لغرض العلم الاساسي وهو الغرض الديني ، ام شاءوا الحد من تغلغل هذا المثل الجديد عندما بدأوا يحددون هذا الغرض بشروط كثيرة ولا يبيحونه الا اذا كان مرفقا بفكرة اظهار الحق ، والامر بالمعروف — والنهي عن المنكر (٦) او في سبيل الاصلاح والخير العام (٧)

---

(١) Goldziher , ((Education _ Muslim)) E . R . E .

(٢) الغزالي ، فاتحة ص ٦٦ .

(٣) ابن جماعة ، تذكرة ص ١٠ — ١١ .

(٤) ابن جماعة ، تذكرة ص ١٠ — ١١ .

(٥) الدمري ، جامع ص ٣١ .

(٦) طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٣٥ — ٣٦ .

(٧) الدمري ، جامع ص ٧٥ .

٣ـ غرض التعليم العقلي *

الى جانب ما رأينا من غرض التعليم الديني والاجتماعي ، نجد الغرض العقلي واضحا عند بعض علماء العرب ، وعلى الرغم من ان هذا الغرض لم يبلغ ما بلغه غرضا التعليم الديني والاجتماعي من وضوح وسعة انتشار ، فقد ظهر واضحا في اشارة بعض العلماء الى اللذة التي ترافق العلم والتعلم ، قال الزرنوجي *

((ومن صبر على ذلك (اى من صبر على التعب في طلب العلم) وجد لذة تفوق سائر لذات الدنيا ، ولهذا كان محمد بن الحسن اذا سهر الليالي واعضلت له المشكلات يقول * لمن ابغاء العلوك من هذه اللذات))(١) . ويقول في مكان آخر *

((كفى بلذة العلم والفقه والفهم داعيا وباعثا))(٢) .

وقد روى القول نفسه على لسان الامام ابو حنيفة *

((كان ابو حنيفة اذا اخذته هزة المسائل يقول * اين العلوك من لذة ما نحن فيه لسو فطنوا لقاتلونا عليه))(٣) .

وقال آخر ((من وجد لذة العلم والعمل به قلما يرغب فيما عند الناس))(٤)

وظهر هذا الغرض ايضا عندما شاء بعض العلماء ان لا يكون للعلم غرضا الا العلم نفسه اى طلب العلم من اجل العلم ، قال احد العلماء *

((واعلم بان الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته ، والى ما يطلب لغيره ولذاته ، فما يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره .... وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ...))(٥)

---

(١) الزرنوجي ، تعليم ص ٥٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٧ .

(٣) الاصبهاني ، محاضرات ج ١ ص ١٨ .

(٤) ابن جماعة ، تذكرة ص ١٢ .

(٥) الغزالي ، احياء ج ١ ص ١٠ـ ١١ . طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ١٢

٤ـ غرض التعليم النفعي *

وكما كان العلم سلما لارتقاء المراكز الاجتماعية العالية ، وطريقا الى العز والجاه ، كذلك كان واسطة لكسب المال وإفادة من العوز والحاجة ، قال ابن قتيبة * ((

((قال بزرجمهر ما ورث الآباء الابناء شيئا افضل من الادب لانها تكتسب المال بالادب والجهل تتلفه فتفقد عدما ضيعا))(١) .

وقال ايضا ((وفي كتاب للهند * العالم اذا اقترب فمه من علمه كان كالاسد معه قوته التي يعيش بها حيث توجه))(٢) .

وقد روى عن عبد الملك بن مروان انه خاطب بنيه قائلا *

((يا بني تعلموا العلم فان استغنيتم كان لكم جمالا وان افتقرتم كان لكم مالا))(٣) .

وذهب بعضهم الى الاستشهاد بالحديث المروي التالي *

((عن ابي يوسف قال سمعت ابا حنيفة يقول * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب))(٤) .

---

(١) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٢٠ .
(٢) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٢١ .
(٣) النمري ، جامع ص ٣١ .
(٤) لم نجده في الكتب الست .
النمري ، جامع ، ص ٢٣

الفصـــــــل الثالـــــــث

شخصيـة المعلـــم

لقد اهتم العرب بشخصية المعلم وصفاته كما اهتموا باعداده وتثقيفه ، ولما كان المعلم قدوة لبقية افراد المجتمع العربي ، ومثلا يحتذى به من تتلمذ على يديه ، فقد توسع العلماء في بحث شخصيته وما يتعلق بها من صفات حميدة فاتت شاملة لجميع نواحي حياته المادية منها والروحية ويمكننا حصر هذه الصفات ضمن اربعة عناوين ، مادية ، واخلاقية وعقلية ، ودينية .

١ — صفات المعلم المادية

ان صفات المعلم المادية تشمل صحته ومظهره الخارجي .

أ — صحة الجسد واثرها في سلامة العقل .

تحدد الصحة الجيدة ، في مفهوم العرب ، باربعة عوامل " الغذاء ، النوم ، الراحة ، والتمارين الجسدية . اما الغذاء فهو وسيلة لا غاية في نفسه والمحرك فيه على تبعة الغذائية وعلى مقدار منفعته ، لا على مذاقه او كثرته[1] ، ولهذا كان الاعتدال في تناول الاطعمة امرا ضروريا بحثه الدين كما جاء في القرآن (

((كلوا واشربوا ولا تسرفوا))[2] .

كما تحثه الصحة الجيدة ((فافضل الامر في صلاح الجسد ان لا تحمل عليه من المآكل والمشرب الا خفا))[3] .

ولهذا سمعنا الامام الشافعي يقول "

((ما شبعت منذ ستة عشرة سنة))[4] .

---

(١) بوسون ، تدبير ص ١٨٨ . ابن مسكويه ، تهذيب ص ٨٠ .

(٢) سورة ، الاعراف آية ٣١ .

(٣) ابن القلع ، الادب الكبير ص ٥ .

(٤) العلموي ، المعيد ص ٣٦

وغالبا ما كان الطعام يشبه بالدواء ((فهي تجري مجرى الادوية يداوى بها الجوع والالم الحادث منه ، ويقوى الانسان بها على طاعة الله))(١)

هذا ، والامر النبي عن الافراط في الطعام لا يتناول الجسد فحسب بل يتناول العقل والتفكير لان ((كثرة الاكل جالبة لكثرة الشرب وهي جالبة للنوم والبلادة وجور الحواس والكسل))(٢) . ولذلك ((فالاعتدال في المأكل والمشرب هو من اعظم الاسباب المعينة على الفهم وعدم الملالة))(٣) . اما النوم فهو كالطعام وسيلة لا غاية ، والغرض منه دوام الصحة الجيدة لا التلذذ به ، والاكثار منه ضار في البدن لانه يضعف نشاطه ، وفي العقل لانه يغلظ الذهن ويميت القلب ولذا يكتفي من النوم بثماني ساعات يوميا(٤) .

يستحسن اجتناب النوم نهارا ، الا لعلة او مرض(٥) او عقب الطعام مباشرة(٦) ، كما يستحسن اجتناب النوم على فرش وطيئة ناعمة ، وجعود الخشونة في الفرش والملبس والمطعم (٧) .

اما الراحة فتعد من العوامل الاساسية للصحة الجيدة والتعليم المفيد ، ولذا كان على المعلم ان يهتم بتأمين راحته وطلابه ، فيجتمع بتلاميذه خلال اوقات معينة ، ويخلو الى نفسه طلبا للراحة في غرفة خاصة يحظر على طلابه دخولها(٨) ، وان لا يدرس فيه ما يوجبه من الم او عطش او تعاس(٩) لان ذلك قد يؤدي الى انشغال افكاره عن سير الدروس ، فيلقن طلابه الافكار الخاطئة(١٠) .

---

(١) الغزالي ، احياء ج ٣ ص ٢٨ . ابن مسكويه ، تهذيب ص ٨٠ .

(٢) ابن مسكويه ، ص ٨١ . العلوي ، المعيد ص ٣٦ .

(٣) الغزي ، الدر ص ١٥٣ .

(٤) ابن مسكويه ، تهذيب ص ٨٢ . الغزي ، الدر ص ١٥٦ . بويسون ، تدبير ص ١٩٢ .

(٥) الغزي ، الدر ص ١٥٦ .

(٦) بويسون ، تدبير ص ١٩٢ .

(٧) الغزالي ، احياء ج ٣ ص ٦٨ .

(٨) القصري الغمري ، مقصد ص ٤ ب . الانقروي ، تحفة ص ٣٧ .

(٩) الغزي ، التبيان ص ١٩١ .

(١٠) الغزي ، التبيان ص ١٩١ . العلوي ، المعيد ص ٥٥

وما ينطبق على المعلم ينطبق على الطالب ايضا ، فاذا ظهر للمعلم ان بعض طلابه يشكو السآمة او الالم فعليه ان يأمره بالراحة والكف عن الدراسة(١) .

اما الرياضة البدنية فقد نالت حظا وافيا من مديح المربين العرب ، فالمشي والركض والسباحة ، وركوب الخيل ، وقذف الرمح ، هي من التمارين التي يجب على الطالب ممارستها(٢) ، لانها تبعد عنه البلادة والكسل(٣) ، ولان شغفه عن اللعب وارهاقه بالدروس يميت قلبه ويحد من ذكائه(٤) .

اما فيما يتعلق بالمعلم ، فلم تكن الرياضة البدنية بالامر المرغوب فيه ، لانها لا تلائم لباس المعلم من جهة وصاعة كما انها لا تلائم ما يجب ان يتصف به من وقار واتزان . بيد ان بعض الكتاب تناسوا هذه النظرة المحافظة ، ونصحوا المعلم بنوع من الرياضة خاصة به ، فابن جماعة يرتأى ، كما فعل من قبله الغزالي ، ما يلي :

((ولا بأس ان يريح نفسه وقلبه وذهنه وبصره اذا كل شيء من ذلك او ضعف باستراحة وتنزه وتفرج في المتنزهات بحيث يعود الى حاله ولا يشق عليه زمانه . وقد كان جماعة من اكابر العلماء يحبون اصطحابهم في بعض اماكن التنزه في بعض ايام السنة ويتمازحون بما لا ضرر به عليهم في ذلك ولا عوض . ولا بأس بمعاناة المشي ورياضة البدن به فقد قيل انه يفتح الحرارة ويذيب فضول الاخلاط وينشط البول))(٥)

ولكن يشترط بالمشي ان يكون بسكينة ووقار ، لا عجلة فيه او تبختر او بطء شديد ، بعيدا عن الالتفات المكثر ذات اليمين وذات اليسار(٦) .

هذا ، ولقد عرف العرب ، منذ اقدم عهودهم ، تلك العلاقة الحميمة الكائنة بين صحة الجسد وسلامة العقل وليس بمستبعد انهم قد تأثروا في ذلك بالافكار اليونانية ، واذا كان الغذاء والنوم والراحة والتمارين الجسدية ، المدخل الى سلامة العقل وصلاح الجسد(٧) .

---

(١) ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٥ .

(٢) ابن مسكويه ، تهذيب ص ٨٢ . الغزالي ، احياء ، ج ٣ ص ٦٨

(٣) الغزالي ، احياء ، ج ٣ ص ٦٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٣ ص ٦٨

(٥) ابن جماعة ، تذكرة ص ٨٢ . الحزي ، الدر ص ١٥٦ .

(٦) الشهرزوري ، الشجرة ص ٢٧٠ .

(٧) الغزالي ، احياء ، ج ٣ ص ٦٨

ب — مظهر المعلم الخارجي "

لقد كان المظهر الخارجي ، من الامور المهمة التي يحسن بالمعلم ان يعتني بها ، فلا يحضر مجلس الدرس الا وهو في اكمل هيأة واحسن ثياب[١] . والمظهر الحسن عاملين مهمين هما النظافة ، والثياب الملائمة "

اما النظافة فهي ضرورية بنوعيها نظافة الجسد ونظافة الثياب ، الى جانب كونها من الواجبات التي ورد الشرع باتباعها[٢] . فعلى المعلم ان يكون دائما نظيف الجسد ، مقلم الاظافر ، مسوح الشعر ، نظيف الاسنان ، مطيب البشرة ، قاصدا بذلك تعظيم العلم وتجيل الشريعة[٣] . واما الثياب الملائمة ، فقد نالت استحسانا كبيرا من العلماء العرب ، ولعل ما نسب الى الامام ابو حنيفة من انه قال ((عظموا عمائمكم ووسعوا اكمامكم))[٤] ، ليدل على ما ناله المظهر الخارجي للمعلم من اهمية .

وفي الوقت نفسه ، نجد اكثرهم على تحذير المعلم من الاسراف في الترف والبذخ ، او من ارتداء الرث من الثياب ، لما في كلا الامرين من لفت للنظر وجذب للانتباه ((وقد قال الذين كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد والثياب الرذلة اذ الابصار تحد اليهما))[٥] .

ولهذا نصح المعلم بان يجتنب لبس الحرير المزركش او التحلي بالذهب[٦] ، كما نصح بالا يخرج امام العلاء الا وقد اتم ارتداء ثيابه بأجمعها ، فلا يخرج مثلا دون حذاء ويكشف الساعدين او الرأس[٧] وليكن لابسا هيأة الخوف والخشية والصمت ((بحيث لا ينظر اليه ناظر الا ويكون منظر ، مذكرا بالله وتكون صورته دليلا على علمه))[٨] .

---

(١) الغزي ، الدر ص ١٦٠ . الغمري ، مقصد ص ٥ .

(٢) النووي ، البيان ص ١٨٩ . ضياء الانوار ص ١٢ .

(٣) ابن جماعة ، تذكرة ص ٣٠ — ٣١ . الغزي ، الدر ص ١٤١ . العبدري ، المدخل ج ١ ص ١١٢

(٤) الغزي ، الدر ص ١٧٨ . منهاج التعلم ص ٩١ — ب .

(٥) طاش كبرى زادة ، مفتاح ، ج ١ ص ٥٦ . الغزي ، الدر ص ١٧٨ . ضياء الانوار ص ٢٣

(٦) الغزالي ، احياء ج ٣ ص ٦٨ .

(٧) الغزي ، الدر ص ١٤٠ . بريسون ص ١١٤ .

(٨) العلموي ، المعيد ص ٢٨ .

الرض

٢ـ صفات المعلم الاخلاقيـــــــة

لما كانت طبيعة مهنة المعلم تحتم عليه ان يكون مثالا يحتذى به ، كان عليه ان يتحلى بالخصال الحسنة والاخلاق الحميدة ، وان يبدأ بتهذيب نفسه اولا لكي يكون قدوة لمن يريد تهذيبهم (١) . واليك ما نصح المعلم ان يتحلى به من اخلاق :

أ ـ محبة الطالب واحترامه :

ان الصلة الوثيقة الكائنة بين المعلم والمتعلم تفرض على المعلم صفة من اهم صفاته الاخلاقية ، الا وهي محبة الطالب الصادقة والاهتمام الصحيح به ، فيحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها (٢) ، ويعامله كما يعامل ابن الاداه من حنو ، وشفقة ، واحسان (٣) ، وان يحتذى حذو الرسول حينما يقول ((انما انا لكم مثل الوالد لولده)) (٤) .

ومن واجب المعلم ان يساعد تلميذه بما تيسر له من جاه وعلم ومال ، وان يبذل له النصح وان يتحمل منه ما يصدر عنه من هفوات ، ويسامحه على نقائصه (٥) .

كما ان على المعلم ان يهتم بشؤون الطالب الشخصية منها والعائلية ، فيسأل عنه في حالة انقطاعه عن الدروس ، او يرسل من يستوضح السبب في انقطاعه ، وافضل من هذا وذاك ان يقصد بنفسه منزل الطالب وائرا فيعوده ان كان مريضا ، ويتفقد احواله ان كان معسرا (٦) .

واذا لاحظ المعلم ان الطالب يصرف في تحصيله جهدا فوق ما تتحمله طاقته ، وخاف الملل ان يتطرق الى نفسه ، والغرض ان يسري في جسمه ، امره بالراحة والاقتصاد من الاجتهاد (٧) ،

---

(١) ابن الطقطقي ، الادب الصغير ص ٢٣ ، ٢٤ . العبدري ، المدخل ، ج ١ ص ١٣ ـ ٩٥ الغزالي ، فاتحة ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) العبدري ، مدخل ، ج ١ ص ٨٩ . النووي ، التبيان ص ١٨٦ . الغزي ، الدر ص ١٦٦

(٣) ابن جماعة ، تذكرة ص ٤٩ ، ٦١ . النووي ، آداب ، مقتبس ٧ ص ٢٨٦ . القابسي ، احوال ص ٥٤ ـ ب .

(٤) مثل ابن ماجة ، الطهارة ١٦ . طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٣٤

(٥) النووي ، التبيان ص ١٨٦ وآداب ، المقتبس ٧ ص ٢٨٦ . الغزي ، الدر ص ١٦٧ .

(٦) ابن جماعة ، تذكرة ص ٦٢ ـ ٦٣ . الغزي ، الدر ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .

(٧) ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٥ . الغزي ، الدر ص ١٧٧

لان من واجب المعلم ان يعامل الطالب ، في كل ما يلم به من احوال ، كما يعامل الطبيب الشفوق مريضه(١) .

واخيرا ، ان عاطفة الحسد ليست مما يليق بالمعلم ، اذا ظهر من احد طلابه ما يحسد عليه من براعة ونبوغ ، لان عاطفة الحسد من المحرمات ، ولان نبوغ الطالب ونجاحه من اوضح الدلائل على ما اصاب المعلم في تعليمه من نجاح(٢) .

هذا ، وان عاطفة المحبة لا تكفي وحدها بل يجب ان يضاف اليها عاطفة الاحترام ، التي على المعلم ان يظهرها بشتى انواع الطرق ، كان يهض احتراما لطلابه حين اقبالهم عليه(٣) ، وبقابلهم بكل بشاشة وسرور ، ويرحب بهم باحسن ترحيب ، ويخاطب كلا منهم ، لا سيما الفاضل الخطير بأحب الاسماء اليه ، لما في ذلك من توقير واحترام ((فان ذلك اطيب لمجتبهم ، واشرح لصدورهم وابسط لسؤالهم))(٤) . وليذكر المعلم ما قاله الله سبحانه مخاطبا رسوله "

((ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك))(٥) .

((واخفض جناحك للمؤمنين))(٦) .

وما قال "

((سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق))(٧) .

---

(١) الغزي ، الدر ص ١٧٧ .

(٢) الدوري ، التبيان ص ١٨٨ . الغزي ، الدر ص ١٧٥ ، ١٧٦ . البهكاني ، نهج ص ٨٤ ـ ب

(٣) ابن جماعة ، تذكرة ص ٣٣ ، ٦٥ . الغزي ، الدر ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، الندوي ، جامع ص ٦٦

(٤) ابن جماعة ، تذكرة ص ٣٣ ، ٦٥ . الدوري ، آداب المتعلمين ٧ ص ٢٨٦ ، ٢٨٨ .
الغزي ، الدر ١٧٠ ـ ١٧٦ .

(٥) سورة آل عمران ، آية ١٥٩ . البهكاني ، نهج ص ٨٤ ـ ب .

(٦) سورة الحجر آية ٨٨ . الدوري ، آداب المتعلمين ٧ ص ٢٨٦ .

(٧) سورة الاعراف آية ١٤٦ . ابن قتيبة ـ عيون ج ٢ ص ١٣٣ .

ب — العـــــــدل "

لقد حذر المعلم من نتائج المحاباة والتحيز ، بقدر ما نصح بمحبة الطالب واحترامه ، فالمعلم الحاذق من عامل جميع طلابه على حد سواء من العدل والمساواة ، فلا يفاضل بين غنيهم وفقيرهم او بين عالميهم وجاهلهم ، ويقيمهم بمنزلة واحدة من الاحترام والعطف(١) .

اما في تعليمه ، فعليه ان يحافظ ما امكنه على نظام التناوب العادل ، فلا يقدم تلميذا على آخر الا اذا رأى في ذلك مصلحة تفوق مصلحة مراعاة التناوب ، شريطة ان يقبل الطلاب هذا السلوك عن طيب خاطر ، هذا وليعلم المعلم ان عدم التقيد بهذه القاعدة يخلق بين الطلاب جوا من التنافر والتشاحن والتباغض(٢) .

بقيت مسألة واحدة جديرة بالذكر ، وهي " ماذا يجب ان يكون موقف المعلم تجاه الطالب النشيط الصغير ؟ وهل يستحق هذا الطالب ان ينال من المعلم اكثر مما يناله الطالب العادي من التفات وعناية ؟ نعم ، ان المعلم يحسن صنعا ، في حالة كهذه ، اذا خصه ببعض العناية فهو بذلك يشجعه على المضي في اجتهاده ، ويبعث الباقين على الاتصاف بصفاته(٣) .

ج — كرامة المعلـــــم "

لقد حذر المعلم من الهبوط في مخالطة الطلاب ، او تجاوز الحدود في معاشرته لهم ، كما نصح بالا يجتمع بطلابه الا خلال ساعات الدروس المعينة ، وفي هذه الحال عليه ان لا يجلس بينهم ، بل على هدى ذراع منهم ، وعليه ايضا ان لا يسكن نفس الدار التي يسكنها طلابه ، وان لا يسمح لهم بالدخول الى غرفه الخاصة الا ضمن اوقات معينة(٤) . وينبغي عليه ايضا ان يتقي كثرة المزاح الذي يخرجه عن حد الوقار ، نعم يستطيع المعلم مداعبة طلابه والضحك

---

(١) ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٩ . المدخل ج ٢ ص ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٧ .
القابسي ، احوال ص ٥٧ . الغزي ، الدر ص ١٧٦ .

(٢) الدوري ، النعمان ص ١٨٨ . ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٩ ، ١٦٠ . الغزي ، الدر ص ٢٢٢ ، ٢٢٣

(٣) ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٩ . الغزي ، الدر ص ١٧٦ .

(٤) وصية افلاطون ص ٥٤ . العثماني ، آداب ص ٧ — ب ، ١٥ ، ١٥ — ب .
المنوني ، آداب ص ١٣ .

معهم ولكن ضمن الحدود التي لا تتعدى النيل من هيبته ووقاره ، وقد قيل ((المزاح سنة لكن الشأن فيمن يحسنه ويضعه موضعه ويرعى دقائق الادب في كلامه))(١) .

اما ما يتعلق بالمحادثة والمناقشة ، فقد نصح المعلم بان لا يتعدى فيهما الانطلاق العلمي الى التبسط في الحديث وبالتالي الى اخلال نظام الدروس(٢) .

وخلاصة القول على المعلم ان يحافظ ما امكنه على كرامته واحترامه لذاته اللذين بدونهما لا يستطيع المعلم ان يوقع الاثر المرغوب في طلابه ، وعندما تنتهي علاقة المعلم بطلابه الى ان تخالف ما ذكرنا من شروط فان هيبة المعلم ووقاره يزولان من قلوب الطلاب وعندئذ يخفق المعلم في اداء اهم ما عليه من واجبات تربوية(٣) .

هذا وقد نالت كرامة المعلم عند المتصوفين من المربين درجة من الاهتمام جعلتها تبلغ عندهم حد العظمة والتقديس ، فاصبحت من اهم العوامل في نجاح التربية الصوفية ، قال احمد مشايخهم ((ينبغي للشيخ ان يجلس في مجالسة المريد بالعظمة والهيبة والوقار ... وينبغي له ان يترك المخالطة والمصاحبة مع المريدين الا وقت الذكر ، لان كثرة الاختلاط والمصاحبة والمجالسة تزول هيبة الشيخ ووقاره من قلب المريد وسد باب الترقي ومجاري الفيض))(٤) .

وذهب آخر الى ابعد من ذلك فقال :

((ومن شروط المريد ان يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل ... ولا يجلس بين يديه الا مستوفزا كجلوس العبد بين يدي سيده ...))(٥)

وذلك ((بحق للشيخ عندما يرى ان حرمته سقطت من قلب المريد ان يطرده عنه ، لانه يصير من الله ابعاده))(٦) .

---

(١) ابن جماعة ، تذكرة ص ٣٢ . العبدري ، المدخل ج ١ ص ١٧١ . البيكاني ، نهج ٨٧

(٢) الغزي ، مقصد ص ١٤٥ . العطاني ، آداب ص ١٥ ، ١٨ ، ١٩ .

(٣) العبدري ، المدخل ج ٢ ص ١٦٧ . الدوري ، التبيان ص ١١٠ . البيكاني ، نهج ص ٨٧

(٤) العطاني ، آداب ص ٦ — ٧ .

(٥) الغزي ، مقصد ص ١٤ — ب .

(٦) نفس المصدر ، ص ٤ .

د — التواضـــع "

ان كرامة المعلم واحترامه لذاته لا يمنعان المعلم من ان يكون حسن التواضع محتشما في حضرة طلابه او من هم اصغر منه سنا ، فالمعلم الذي يتغطرس على طلابه متعاظما ، او يكيل لنفسه المديح ، او يدعو الذي لساع هديج الناس له وثنائهم عليه ، هو ليس بمعلم[1] . وعلى عكس ذلك من تواضع من المعلمين في تقدير اهمية نفسه وشهرتها ، فمن تواضع لله ، رفعه الى اعلى المناصب[2]. قال احد العلماء "

((انظر الى شجرة اليقطين لما تواضعت وألقت نفسها على الارض ، كيف جعل الله تعالى ثقل حملها على قدرها فلو حملت منها حملت ما احست به . وانظر الى النخلة لما قامت بقدرها جعل الله ثقل حملها على قدرها))[3] . ويروى عن عمر بن الخطاب انه قال "

((تعلموا الوقار والسكينة وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم وتواضعوا لمن علمتموه العلم ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم))[4] .

هـ الفضائل التي يجب ان يتحلى بها المعلم "

بقي علينا ان نذكر اخيرا ، الفضائل التي يجب ان يتحلى بها من شاء النجاح في اداء رسالته من المعلمين ، ولنذكر اولا بأن التعليم الجيد يستلزم النشاط والفعالية ، ويتخذ من القدوة والمثال منهجا ، والادب العربي شعرا ونثرا ، يزخر بهذا المعنى ، ونحن اذا استقصينا الاسباب التي دعت الى تفضيل التعليم عن طريق القدوة والمثال لرأيناها تنحصر فيما يلي "

١ — يجب على من نصب نفسه للناس معلما ، ان يبدأ بتعليم نفسه وتقويم اخلاقه ، قبل ان يعمل على تهذيب نفوس طلابه[5] .

---

(١) النعري ، جامع ص ٥٣ ، ١٣ . ابن جماعة ، تذكرة ص ١٥ ، ١٧ ، ١٤ . الغزي ، الدر ص ١٣٨ ، ١٤٠ .

(٢) الغزي ، الدر ص ١٣٨ . ضياء الانوار ، ص ٢٣ ، ٤٦ .

(٣) البكري ، نظم الفائدة ص ٩٢ — ب .

(٤) النعري ، جامع ص ٦١ . الغزي ، الدر ص ١٢٠ .

(٥) ابن المقفع ، الادب الصغير ص ٢٣ ، ٢٤ . المدخل ج ١ ص ١٣ — ١٥ الغزالي ، فاتحة ص ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠ .

٢ـ لما كان العالم عرضة للعراقبة والاهتمام ، فهو قدوة للناس ، يراقبونه ويأخذون عنه ، فليكن عنايته بتزكية اعماله وتحسين سلوكه ، اشد من عنايته بتحسين علمه ونشره (١) .

٣ـ ان تعليم القدوة ابلغ من تعليم اللسان ((ذلك لان العمل مدرك بالبصر والعلم بالبصيرة واصحاب الابصار اكثر من اصحاب البصائر)) (٢) .

٤ـ تحصل الفائدة من التعليم فقط حينما يعمل المعلم بعلمه ، اما اذا خالف عمله علمه ، فالاخفاق هو النتيجة المحتمة لتعليمه .

هذا ، وقد اهتم العلماء العرب ، على اختلاف مذاهبهم العقلية والدينية ، بالعلاقة الكائنة بين العلم والعمل فافردوا لذلك ابوابا خاصة في بحوثهم عن العلم والتعليم ، وقد اجمعوا على ان الفائدة لا تحصل من التعليم الا اذا رافق العلم العمل به ، وقد استشهدبعضهم بالقرآن فقال :

قال الله تعالى ((اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم)) (٣) .

وقال ايضا ((يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون)) (٤) .

واستشهد البعض الاخر بحديث الرسول حين قال :

((مثل الذى يعلم الناس الخير وينسى نفسه مثل الفتيلة تضيء الناس وتحرق نفسها)) (٥)

((كل علم وبال على صاحبه يوم القيامة الا من عمل به)) (٦) .

---

(١) ابن جماعة ، تذكرة ص ٢١ ، ٢٣ . طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٤٤ .
الغزالي ، فاتحة العلوم ج ١ ص ٥٥ . الزرنوجي ، تعليم ص ١٥ .

(٢) الغزالي ، ميزان ص ١٧٧ واحياء ج ١ ص ٥٥ . ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٢٥ .

(٣) القرآن ، سورة البقرة آية ٤٤ . الغزالي ، ميزان ص ١٧٧ .

(٤) القرآن ، سورة الصف آية ٢ ، ٣ . العلموي ، المعيد ص ١٠

(٥) لم اجده في الكتب الست .
الغزى ، الدر ص ١١٦ .

(٦) لم اجده في الكتب الست .
الغزى ، الدر ص ١١٦ .

واستشهد ابن قتيبة بحديث الصبح فقال "

((قال المسيح عليه السلام " الى متى تصفون الطريق للعالمين ، وانتم مقيمون مع الصبيين انما ينبغي من العلم القليل ، ومن العمل الكثير)) (١) .

وقال احد العلماء "

((تعليم العالم بسيرته ابلغ من تعليمه بلسانه)) (٢) .

وقال آخر "

((اذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب ، واذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان)) (٣)

وقال ثالث "

((العلم تتاجه بالعمل فاذا ولد العلم بالعمل تولد وتناسل ملكا ابديا لا آخر له)) (٤)

وعلة بعضهم في ذلك هي ان التناقض والاختلاف بين علم العالم وعمله ، لا يذهب بفائدة التعليم فحسب ، بل يقلب نصح المعلم وتوجيه الى اغراء وتحريض (٥) . هذا عدا عن ان من لم يعمل بعلمه من العلماء سيكون اشد الناس عذابا يوم القيامة لأن ((الله يغفر للجاهل سبعين ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنبا واحدا)) (٦) .

٥ — على المعلم ان يكون قوي اليقين برسالته ، واليقين كما قيل الايمان كله (٧) .

٦ — واخيرا على المعلم ان يطهر نفسه من خبائثها كالحسد ، والرياء ، والشيلاء ، واحتقار الناس ، والغش كما ان عليه ان يعرف الشر ليتجنبه فقد قيل ((اعرف الشر لا للشر ، لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه)) (٨) .

---

(١) ابن قتيبة ، العيون عيون ج ٢ ص ١٢٧ .

(٢) ابن الطقطقي ، الادب الصغير بهجة ص ٢٣ .

(٣) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٢٥ .

(٤) طاش كبرى زادة ، مفتاح ، ج ١ ص ٨ .

(٥) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٥٥ . طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٤٣ . الغزي ، الدر ١٦٥

(٦) ابن قتيبة ، عيون ، ج ٢ ص ١٢٥ . الغزالي ، احياء ج ١ ص ٥٥ . الغزي ، الدر ١١٦ ، ١١٧ .

(٧) العلموي ، المعيد ص ٢٧ .

(٨) ابن جماعة ، تذكرة ص ٢٣ . العلموي ، المعيد ص ٣٦

٣ــ صفات المعلم العقليـــــــــــة

أ ــ النشاط الفكري

ان نشاط المعلم الفكري وفعاليته العقلية هي من الامور الاساسية لنجاحه في مهنته وهذا ما يحتم عليه عدم الانقطاع عن الدراسة والبحث العقلي حائما يحصل على اجازة التعليم ، لان هذه الاجازة ليست بوجه من الوجوه الغاية الاساسية للدراسة[١] . فمن واجب المعلم فيما يتعلق بهذه الناحية ان يتخذ شعارا له الآية الكريمة :

((وقل رب زدني علما))[٢] .

وان يحذو حذو الرسول في التماسه الدائم للمعرفة والعلم فعليه ان يقول :

((اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني من الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع طلوع شمس ذلك اليوم))[٣] .

او حذو النبي موسى حينما قال مخاطبا الخضر في القرآن الكريم :

((هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا))[٤] .

فالطموح الزائد للمعرفة ، وعدم القناعة باليسير من العلم ، والمواظبة على طلب العلم ، يجب ان تكون نصب عيني المعلم ، لان ((المرء لا يزال عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه علم فقد جهل))[٥] . ولا يحدث هذا الا اذا كان المعلم شديد الاهتمام بالدراسة ، ميالا الى طلب العلم . وقد كتب ابن المقفع قائلا :

((حبب الى نفسك المعلم حتى تناوه وحالله فيكون هو لهوك وملهوك وعملك وشهوتك))[٦] .

---

(١) الدوري ، جامع ص ٥٠ . ابن جماعة ، تذكرة ص ٢٦ . الانصاري ، اللؤلؤ ص ٦ .

(٢) القرآن ، سورة طه آية ١١٤ .

(٣) الخوالي ، احياء ج ١ ص ٦ (لم اجده في الكتب الست) .

(٤) القرآن ، سورة الكهف آية ٦٦ . البخاري ، العلم ١٦ . الدوري ، جامع ص ٥٠

(٥) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١١٨ . الدوري ، البيان ص ١١٣ . الغزي ، الدر ص ٥٦ (الدوري ، جامع ص ٤٨ .

(٦) ابن المقفع ، الادب الكبير ص ٨٨ .

فالعلم وحده ، هو المثل الأعلى الذى يجب على المعلم ان يهب له نفسه ((فقد قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك))(١) . ولذلك كان على المعلم ان لا يشغل نفسه بعمل آخر الا اذا اضطر الى ذلك وعندئذ يقوم به بعد تحصيله وظيفته من العلم(٢) .

هذا ، وقد حبذ العلماء اشتغال المعلم بالتصنيف والتأليف ، لان ذلك يقوده الى الاطلاع على مختلف فروع العلوم والفنون ،لان المعلم يحتاج حين اصراره الى التاليف الى كثرة المطالعة ودوام البحث والتنقيب فيتسع بذلك افقه الفكرى ، ويشق لنفسه طريقا الى المبدعين من الائمة والعلماء(٣) . ولكنهم مع تحبيذهم ذلك ، لم يتركوا باب التاليف عرضة لكل طارىء ، بل حددوا جواز التاليف بشروط كثيرة نذكر منها ما يلي :

١ — الشرط الاول للتاليف هو المعرفة والاهلية ، ومن اشتغل بتصنيف ما لم يتاهل له ، فقد اضاع وقته سدى ، واضر من سمعته(٤) .

٢— يسمح للمعلم ان يؤلف خلال ساعات فراغه فقط ، ولا يجوز له قطعا ان يشغل نفسه بالتاليف عن طلابه اثناء الدرس(٥) .

٣— يجب على من رام التصنيف ، ان يختار من الابحاث ما يعم نفعه ، وتكثر الحاجة اليه شريطة ان لا يكون قد سبقه اليها احد من قبل(٦) .

اما اذا شاء التاليف في مواضيع سبق لغيره ان طرقها فيحق له ذلك اذا كانت ناقصة يود اتمامها ، او خاطئة يود تصحيحها او شديدة الصعوبة ، مغلقة على افهام الجمهور فاراد تبسيطها ، او طويلة شاء اختصارها ، او مبعثرة اراد ترتيبها(٧) .

---

(١) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٤٦ . ابن جماعة ،تذكرة ص ٧١ . الغزى ،الدر ص ١٩١

(٢) الغزى ، الدر ص ١٥٩ . الدوى ، آداب ، المقنبس ٧ ص ٢٨٥ .

(٣) الدوى ، آداب ،المقنبس ٧ ص ٢٨١ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ .
ابن جماعة ، تذكرة ص ٢٩ ، ٣٠ ، ١٣٥ .

(٤) ابن جماعة ، تذكرة ص ٣٠ . العلموى ، المعيد ص ٨٠ .

(٥) التنبسي ، احوال ص ٢٤٣ .

(٦) ابن جماعة ، تذكرة ، ص ٢٩ — ٣٠ . العلموى ، المعيد ص ٨٠

(٧) العلموى ، المعيد ص ٨٠

٤ــ يشترط في المصنف ان يكون واضح العبارة ، بعيدا عن الاسهاب الممل ، او الايجاز المخل بالمعاني (١) .

٥ــ واخيرا على المؤلف حين انتهائه من مصنفه ان يكرر النظر فيه ، ويهذبه ويرتبه قبل نشره بين ايدي القراء (٢) .

ب ــ الامانة الفكرية

ان الامانة الفكرية هي صفة اخرى لا تقل اهمية عن بقية الصفات العقلية للمعلم وقد بدأ العلماء العرب ، منذ بدء انتشار الاسلام ، يتساءلون ويلحون في تساؤلهم ، عما يجب ان يكون موقف المعلم تجاه مسألة معضلة لا يدري لها حلا . ويظهر انهم اتفقوا جميعا على ان من عرف مواطن الجهل فيه واعترف بها بصراحة وصدق ، قد جنب العلم والثقافة ، اما من تحدث في مسائل ليس له بها من علم ، محاولا ستر ما به من جهل ، فذلك منتهى الجهل وضعف الايمان (٣) .

قال بعض العلماء ((ليس مني من العلم الا اني اعلم باني لست اعلم)) (٤) .

هذا ، وان قولا كقول ((الله اعلم)) او ((لا ادري)) او ((لست بمحقق)) او ((سأعود اليها بالنظر)) لا يوجب للمعلم حياء ولا خجلا (٥) .

لقد كان الرسول يسأل عن بعض الامور فيقول ((لا ادري)) وكذلك كان شأن بعض الصحابة والائمة الاولين ، فابن عمر مثلا ، كان اذا سئل عن عشر مسائل يجيب على واحدة ويسكت عن تسع ، وكان ابن عباس يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة ، وكان من الفقهاء من يقول ((لا ادري)) اكثر مما يقول ((ادري)) (٦) .

---

(١) ابن جماعة ، تذكرة ص ٣٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٠ .

(٣) ابن الخلع ، الادب الصغير ص ٤٦ ، ٥١ والادب الكبير ص ١٠٢ . الغزي ، الدر ص ١٨٦

(٤) النمري ، جامع ص ٦٦ . ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٢٦ .

(٥) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١١٩ ، ١٢٦ . النمري ، جامع ص ٤٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ . الزرنوجي ، تعليم ص ٤٤ . الغزي ، الدر ص ١٨٦ .

(٦) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٦٥ ، ٦٦ وفاتحة ص ٢٨

وقد خطت لنا بعض المصادر تصنيفين لايضاح هذه الفكرة وهما "

((كما عقد مالك بن انس فصلا" رجل فقال يا ابا عبدالله جئتك من مسيرة ستة اشهر ، حملني اهل بلدي مسألة لسألك عنها ، فقال فسل ، فسأله الرجل عن المسألة فقال لا احسنها ، فهبت الرجل كانه قد جاء الى من يعلم كل شيء وقال اي شيء اقول لاهل بلدي اذا رجعت اليهم ؟ قال تقول لهم قال مالك لا احسن هذه المسألة))(١) .

((سئل بعض العلماء من شيء فقال لا ادري ، ثم سئل من آخر ، فأكثر ، فأعاد لا ادري فقال السائل يا سيدي ليس هذا مكانك ، اي ملازم وجهك ، فاضطراب وقد اصاب بان هذا مكاني واما الذي يعلم كل شيء فلا مكان له))(٢) .

وقال بعض العلماء ((ينبغي للعالم ان يورث اصحابه كلمة(لا ادري) لكثرة ما يردد ها))(٣) .

وقال آخر ((اذا سئل احدكم عما لا يدري فليقل (لا ادري) فانه ثلث العلم ، وهن بعضهم (لا ادري) نصف العلم))(٤) .

وهكذا اتفق اكثر العلماء على ان الاعتراف بالجهل هو اثمن ما يتوصل اليه العالم من معرفة وتحصيل .

وقد لجأ العلماء الى الصيغ الكثيرة لبيان ما لاعتراف المعلم بجهله ، من ضرورة واهمية ، وها نحن نسوق بعضها للدلالة على كلها "

١ — قال بعضهم ((تعلم (لا ادري) ولا تعلم ادري ، فانك ان قلت لا ادري علموك حتى تدري — اي هي فرصتك لان تتعلم ما جهلت — وان قلت ادري سألوك حتى لا تدري — اي امعنوا في احراجك بالاسئلة حتى يظهر لهم عجزك —))(٥) .

---

(١) الدوري ، جامع ص ١٢٥ .

(٢) البيهقي ، شعب ص ٨٩ .

(٣) ابن جماعة ،تذكرة ص ٤٢ . الدوري ، آداب ، المقتبس ٧ ص ٢٨٨ .
الغزي ، الدر ص ١٨٧ .

(٤) الدوري ، جامع ص ١٢٦ . الغزالي ، فاتحة ص ٢٨ . ابن جماعة ،تذكرة ص ٤٢ .
الغزي ، الدر ص ١٨٧ .

(٥) الدوري ، جامع ص ١٢٦ .

٢ــ ان من تكلم من العلماء بما يجهل من الامور ، شك الناس بصحة ما يعرفه كما قال ابن قتيبة ((لا تقل ما لا تعلم فتتهم فيما تعلم)) (١) .

٣ــ ان العالم المؤمن هو الذي يخاف ، حين جوابه على سئوال ما ان يقال له يوم القيامه من اين اجبت ؟(٢) .

٤ــ ان اعتراف المعلم بانه ((لا يدري)) لا يحط من قدره ولا يشين من مروءته ، بل على العكس من ذلك ، هو يدلل باعترافه على ارتفاع مكانته العلمية ، وكمال دينه وتقواه ، فمن تمكن من علمه لا يضيره عدم معرفة القليل من المسائل العارضة ، وانما يخاف من قول ــ ((لا ادري)) من قل علمه وضعف تقواه ، لانه يخاف اذا ظهر ما به من قصور ان يسقط احترامه من قلوب طلابه . ويعلم المعلم انه باقدامه على اجابة اسئلة لا يعرف صحيح جوابها سيكتشف الطلاب امره ان عاجلا او آجلا ، ويستدلون عندئذ على مبلغ قصوره وقلة دينه (٣) .

هذا ، والشيء الاخير المهم فيما يتعلق بنزاهة المعلم الفكرية هو ان يكون امينا في ذكر المصدر الذي اخذ عنه افكاره ، وامينا في ارجاع هذه الافكار الى اصحابها(٤) . وانها لخيانة كبيرة وطعنة في صميم النزاهة الفكرية ان يلجأ المعلم الى انتحال ما يعجبه من افكار غيره من المعلمين وآرائهم(٥) . كما وان النزاهة الفكرية تقتضي ان يذكر المعلم الاخبار كما سمعها عن راويها ، او كما قرأها ، دون زيادة او نقصان ، لان في ذلك خيانة في العلم وهي اشد من الخيانة في المال والمتاع(٦) .

اما صراحة القول والتعبير فقد عدت نوعا آخر من النزاهة الفكرية ، فالمعلم اذا وجد نفسه مضطرا لان يعبر عن لفظة او عبارة يستحي من ذكرها عادة ، وكان ذكرها ضروريا لفهم المعنى المقصود فعليه ان لا يتردد في التصريح بها ، ورفعا لخجل ، لان الحقيقة اهم من الكياسة(٧) .

---

(١) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٢٧ .

(٢) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٦٥ .

(٣) ابن جماعة ، تذكرة ص ٤٢ . الغزي ، الدر ص ١٨٨ . النووي ، آداب ، المقدمة ٧ ص ٢٨٨

(٤) الغزي ، جامع ص ٢١٣ . ابن المنقع الادب الكبير ص ٦٣ .

(٥) ابن المنقع ، الادب الكبير ص ٦٣ .

(٦) منهاج المعلم ص ٨٨ .

(٧) الغزي ، الدر ص ١٧٢ .

ج — سلامة التفكير

لا يقل التفكير الصائب السليم اهمية عن الامانة الفكرية ، فكما ان امانة الفكر تحتم على المعلم الاعتراف بجهله بصراحة وصدق ، كذلك يتطلب منه التفكير الصائب ان يكون دقيقا في بحثه عن الحقيقة وفي عرضها ، فلا يأخذ بكل ما يسمع او يقرأ على انه شيء سليم بصحته ، فمن الممكن ان يكون بعضه مخالفا للواقع ، لا يحتل الا رأيا شخصيا بعيدا عن الحقيقة والصواب . ومن اخطر الامور على سمعة المعلم ، ان يذهب الى تصديق كل ما يسمع او اثبات كل ما يقرأ على انه حقيقة سلم لها ، فمن واجبه الاول كمعلم ان يفحص ويدقق كل ما يصل اليه من حقائق ، سواء كان ذلك عن طريق السماع او عن طريق القراءة ، قبل ان يتبناها(١) .

اما وقد انتهى المعلم من تدقيق هذه الحقائق وتمحيصها ، فان عليه ان يهذب ما يود ان يقرره مستعينا بملكاته العقلية ، فيوافق بذلك احكاما صحيحة ، ويأمن من فائدة الزلل ، وسوء الفهم وخطأ التفسير (٢) .

هذا ، وقد حذر كل باحث عن الحقيقة معلما كان ام طالبا ، من مغبة الاحكام التي يشوبها التغرض والهوى ، قال ابن المقفع :

((اذا اردت ان يقبل قولك ، فصح رأيك ولا تشوبنه بشيء من الهوى فأن الرأى الصحيح يقيله عثة العدو ، والهوى يرده عليك الولد والصديق)) (٣) .

د — التواضع العقلـــــــــي

للعقل الى جانب النزاهة ، وسلامة التفكير ، صفة اخرى لا تقل اهمية وهي صفة التواضع ، والتواضع العقلي هذا اشكاله المختلفة واليك بعضها :

١ — المعلم المتواضع هو من لا يستنكف عن اخذ المعرفة من افواه الاخرين ، فيأخذ الحكمة ممن عرفها ، وان كان دونه في المنصب او السن او الشهرة ، ومن ثم يشكر له حسن صنيعه ، ويحمد به على ما علمه (٤) .

---

(١) الغزي ، جامع ص ١٢٢ . منهاج المتعلم ص ٨٨ — ب .

(٢) الغزي ، الدر ص ١٦٠ .

(٣) ابن المقفع ، الادب الكبير ص ٣٣ .

(٤) الزرنوجي ، تعليم ص ٤٥ ، ٤٦ . الغزي ، جامع ٦٤ ، ٦٦ . الغزالي ، احياء ج ١ ص ٤١ الغزي ، الدر ص ١٦١ ، ١٧٥ ، ١٧٦ . الغزي ، آداب المتعلمين ٧ ص ٢٨٤ ، ٢٨٧

٢— التواضع العقلي يحتم على المعلم قبول الحقيقة ولو اتت من فم خصم ، قال الشافعي :
((ما ناظرت احدا قط فأحببت ان يخطيء ... وما كلمت احدا قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على لساني او على لسانه))(١) . ولعل اهم الشروط التي سنها العلماء العرب للمناظرة هي تلك التي تتعلق بالتواضع العقلي . فالشرط الاول للمناظرة ينص على ان تكون معرفة الحقيقة هدف المناظرة الاول ، وشرطها الثاني ينص على ان يقف المناظر من مناظره موقف الرفيق في البحث عن الحقيقة ، لا موقف الخصم وبدون هذين الشرطين تعد المناظرة غير صحيحة(٢) .

٣— المعلم المتواضع ، من انقاد الى الحق بعد وقوعه في هفوة او زلل ، ولو ظهر على لسان اصغر طلابه(٣) . ولبيان ما لهذه الناحية الاخيرة من اهمية ، وجب لنا الصادر قصتين تعودان الى العصر الاول من الاسلام وهما :

((في يوم من ايام الجمعة ، كان عمر بن الخطاب يخطب على ملأ من الناس حينما اخطأ فاعترضت له امرأة من الحضور وردت عليه وتبهته الى الحق ، فما كان من عمر الا ان قال اصابت المرأة واخطأ عمر))(٤) .

((سأل رجل عليا فاجابه ، فقال ليس كذلك يا امير المؤمنين ، ولكن كذا وكذا ، فقال علي اصبت واخطأت ، وفوق كل ذي علم عليم))(٥) .

٤— ان التواضع العقلي يحدو بالمعلم ان ينبه الى كل خطأ وقع فيه غيره ، شريطة ان يقصد بذلك النصيحة واظهار الحق لا الاستخفاف واظهار النقيصة ، ويحق آخر عليه ان ينتقد القول لا القائل(٦) .

---

(١) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٢٤ . ابن جماعة ص ١٩ . الغزي ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٢) وقال الغزالي ايضا : اذا كانت ارادتك اظهار الحق ، كان لتلك الارادة علامتان اولهما ان لا تفرق بين ان يتكشف الحق على لسانك او على لسان غيرك والاخرى ان يكون البحث في المثلاث احب اليك من ان يكون في الملأ "(الغزالي ، ايها الولد ص ٧٠) . الغزالي ، احياء ج ١ ص ٤١ .

(٣) الغزي ، الدر ص ١٦١ . العاملي ، هنية ، المقتطف ٥٨ ص ٣٦٣ .

(٤) الغزالي ، احياء ، ج ١ ص ٤١ .

(٥) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٦) الغزي ، الدر ص ١٧١ — ١٧٢ . النووي ، آداب ، المقتبس ٧ ص ٢٨٧

٥ــ المعلم المتواضع من لا يأنف من سؤال من هم اصغر منه سنا من زملائه او تلاميذه ، وليذكر بأن الطلاب يرغبون بكل تأكيد مساعدة المتواضعين من المعلمين فيلبيه عندما يجلبه بجواب لاحدى المسائل ، او عرض لحقيقة ما ، ان يقابلها شاكرا وان لا يدعي معرفتها من قبل(١) .

٦ــ اذا سمع المعلم حديثا يجهله ، او خبرا سمعه ، او جرت امامه مناقشة مسألة من المسائل ، فالتواضع العقلي يحدو به الا يقطع الحديث لاظهار جهله ، وليكن على ان يسمع ليعرف على ان يتحدث(٢) .

٧ــ واخيرا على المعلم ان لا يكثر من ادعاء معرفة كل ما يطرأ امامه من مسائل ، فهو في ذلك امام احد امرين اما ان يوصم بالصلف ، واما ان يظهر عجزه(٣) .

---

(١) الاشتري ، قوض ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) ابن الطقطقي ، الادب الكبير ص ٦٥ ، ٧١ .

(٣) نفس المصدر ص ٦٨ ، ٦٩ .

٤ــ صفات المعلم الدينية

لقد لعب الدين الاسلامي دورا كبيرا ، ان لم نقل اساسيا في تكوين التربية الاسلامية ، وبالتالي في توجيه حياة المعلم العربي ، فالديانة الاسلامية ، كغيرها من الديانات الموحدة تنص على عقيدة اساسية ، هي ان الحياة الدنيا حياة فانية لا بقاء لها ، وان هي الا ممر للحياة الاخرة الباقية ، فالرجل العاقل من تزود من دنياه هذه لآخرته تلك(١) .

وما التربية الاسلامية عند نشأتها الا محاولة للسير في هذا الطريق القويم وذلك عن طريق معرفة الشريعة الاسلامية ، التي تبدو في القرآن واحاديث النبي ، واظهار ما خفي منها ، ولهذا اتى الحديث النبوي معرفا العلم بما يلي :

((عن عبد الله بن عمر بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل ، آية محكمة ، وسنة قائمة ، وفريضة عادلة))(٢) .

ولمعرفة الصلة الوثيقة الكائنة بين التربية والدين عند العرب يكفي ان نعرف بان بذور التربية الاسلامية نشأت من الدين الاسلامي ، وكانت نقطة البدء فيها التعليم الديني من حفظ للقرآن وفهمه ، ودراسة للحديث واتقانه ، وفهم للشريعة الاسلامية بناحيتيها النظرية والعملية ، وهذا ما جعل من المساجد المدارس الاولى في العالم الاسلامي(٣) .

وذهب بعض المؤرخين من المعاصرين الى ابعد من ذلك فقال بان التربية عند العرب كانت تربية دينية صرفة ، والى ان كل العلوم الاسلامية كانت تدور حول محور واحد هو الدين ، وان كل علم لم يكن له صلة قوية او بعيدة بالدين يخرج عن نطاق التربية الاسلامية المشروعة(٤) .

---

(١) الغزالي ، احياء ج ٣ ص ٦٨ .

(٢) لم نجده في الكتب الست .

النسوي ، جامع ص ١٠٧ .

(٣) Pedersen ((Masdjid)) E . I .

(٤) Macdonald , Aspects PP . 298 _ 300 .

قال ابن المقفع "

((فضل العلم في غير الدين مهلكة ، وكثرة الادب في غير رضوان الله وطفحة الاخبار قائدا الى النار))(١) .

وقال آخر "

((ليس العلم بكثرة الرواية ، انما العلم نور جعله الله في القلوب ... العلم عبادة القلب وصلاة السر))(٢) .

وما الروح الحقيقية المنبعث للعلم عند الغزالي ، الا العنصر الديني ، كما يبدو من قوله "

((تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله))(٣) .

هذه الاقوال واشباهها تبرينا كم كانت الصلة بين الدين والتربية وثيقة الاواصر ، ولا عجب اذا اقام المربون العرب الصفات الروحية للمعلم ، في المقام الاول من الصفات الضرورية لنجاحه ، واليك اهم ما فرضوه من هذه الصفات "

أ — الايمان

ان الايمان هو من اهم صفات المعلم الدينية ، ويكمل ايمان المعلم كما قال الغزالي ، اذا استحوذ على خصال ثلاث "((اذا امر بالمعروف وائتمر به ، ونهى عن المنكر وانتهى عنه ، وحافظ على اوامر الله تعالى))(٤) .

وصفة الايمان ، تتطلب من المعلم ، ان يحافظ على الحدود التي اقامها الله سبحانه وتعالى فيظهر على القيام بشعائر الاسلام من صلاة وصوم وحج وزكاة ، كما انها تتطلب ان يسير المعلم بمقتضى سنة الرسول(٥) ، وان يلازم تلاوة القرآن ويلازم ذكر الله قلبا ولسانا ، وان يقوم بنوافل العبادات(٦) .

---

(١) ابن المقفع ، الادب الصغير ص ٦٤ .

(٢) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٤٦ . القرى الدر ص ١٤٢ . الدعري جامع ص ١٠٨

(٣) الغزالي ، احياء ج ١ ص ١٦ .

(٤) الغزالي ، فاتحة ص ٣٢ .

(٥) ابن جماعة ، تذكرة ص ١٠ ، ٢٠ . العبدري ، المدخل ج ٢ ص ١٥٥

(٦) ابن جماعة ، تذكرة ص ٢٢ .

وقد ذهب بعض العلماء ، الى ان ايمان المعلم لا يكمل الا اذا انصاع الى الحق وسار بمقتضاه ولم تأخذه به لومة لائم(١) ، ولذلك كان من واجبه الشرعي الاول ان يوشد من حوله الى المنكر ما في مجتمعهم من منكر ، لانه اقدر الناس على معرفة من الاعمال والاقوال ، اما اذا سكت عنه فقد اصبح ولا فرق بينه وبين فاعل المنكر ، اللهم الا اذا خاف على نفسه من ظلم سلطان جائر ، وعندئذ عليه ان يقاومه بقلبه ويبتعد عن فاعليه(٢) .

ب — الورع والزهد .

الورع اشكاله المختلفة ، ويتجلى في ابتعاد المعلم عن المعاصي بانواعها المختلفة ، كالمعاملات الفاسدة والربا ، واكل حقوق الناس بالباطل ، كما يتجلى في الابتعاد عن معاشرة اهل الفساد والاتصال بالصالحين(٣) . وللورع فوائده المختلفة واقلها سهولة طلب العلم لمن ازداد ورعه وانتفاعه الشديد به(٤) .

ويحسن بالمعلم ان يتحلى الى جانب ورعه ، بالزهد والقناعة في دنياه ، فيقتصد في مطعمه وملبسه ، ويبتعد عن الترف ، شريطة ان لا يضر ذلك به او بعائلته(٥) .

وان اقل ما يطلب من المعلم هو اختيار الدنيا ، وعدم التعلق باهدابها لانه اعلم الناس بمساوئها وسرعة زوالها(٦) .

ج — علاقة المعلم بذات الله .

يجب ان تكون علاقة المعلم بذات الله سبحانه علاقة خشية وخوف ، ((قال عبدالله بن مسعود ليس العلم في كثرة الحديث انما العلم خشية الله))(٧) ، لان الخوف من الله وخشيته

---

(١) ابن جماعة ، تذكرة ص ٢٠ .

(٢) العبدري ، المدخل ج ١ ص ٥٨ ، ٥٩ ، ١٦١ .

(٣) الغزالي ، فاتحة ص ٦٤ . الزرنوجي ، تعليم ص ٦٣ .

(٤) الزرنوجي ، تعليم ص ٦٢ .

(٥) ابن جماعة ، تذكرة ص ١٨ . الغزي ، الدر ، ص ١٤٢ .

(٦) الدمري ، جامع ص ١٨ .

(٧) الدمري ، جامع ص ١٠٨ .

هما المدخل الى الحكمة والعلم(١) ، ولان صحبة الله ((هي الخصلة الجامعة لمحاسن الصفات))، وان صحبة الله وخشيته تحتم على المعلم ان لا يقسم بالله عز وجل سواء كان صادقا او كاذبا قال الشافعي ((ما حلفت بالله عز وجل لا صادقا ولا كاذبا))(٣) .

هذا ، ويجب على المعلم ان يعتمد على الله في جميع اموره ، لان ذلك خير له من الاعتماد على نفسه(٤) . ولذلك ذهب العلماء الصوفون الى ابعد من ذلك ، فقالوا بان على المعلم ان يداوم على مراقبة ذات الله والاتصال به بين حين وآخر ،وورووا حديثا في ذلك هو قول النبي :

((لي وقت لا يسعني فيه غير ربي))(٥) .

وقد عبر الغزالي عن الغاية التي توخاها هو، من توجه المعلم الى ذات الله والاتصال به بانها مفتاح الالهام وضوح الكشف(٦) . اما الشعراوي (ت ١٥٦٥ م) فقال بان الغاية منها قد تكون لتلقي اوامر الله عز وجل لهداية الناس(٧) .

هذا ، وعلى المعلم حين توجهه الى الله ، ان يتوسل اليه بالادعية ، كما ان عليه ان يلجأ الى هذه الادعية في مختلف ظروفه(٨) .

---

(١) ضياء الانوار ، ص ٢٢ .

(٢) ابن جماعة ، تذكرة ص ٢٦ . الغزي ، الدر ص ١٤١ .

(٣) الغزالي ، فاتحة ص ٣٠ .

(٤) النووي ، التبيان ص ١٨٥ . منهاج المتعلم ص ٤٤ .

(٥) لم اجده في الكتب الست .
البكري ، نظم ص ١٠٧ . الغزي ، مقصد ص ٦ .

(٦) الغزالي ، فاتحة ص ٢٩ .

(٧) الشعراوي ، هدايا ص ٨٢ — ب .

(٨) النووي ، التبيان ص ١٨٥ . الغزي ، الدر ص ١٧٨ ، ١٨٠ .

وقد ذكرت لنا المصادر مختلف انواع هذه الادعية ، فمثلا اذا شاء المعلم ان يذهب للتدريس عليه ان يتوجه الى ربه بالدعاء التالي :

((اللهم اني اعوذ بك ان اَضل او اُضل او اَذل او اُذل او اَظلم او اُظلم او اجهل او يجهل علي ، عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك ، اللهم ثبت جناني واقدر على النطق لساني))(١) .

---

(١) ابن جماعة ، تذكرة ص ٣١ — ٣٢ . الغزي ، الدر ص ١٧٨ ، ١٨٠

الفصـــــل الرابـــــــع

آداب المعلم المهنية

لكل مهنة آدابها الخاصة بها ، وللتعليم شأن بقية المهن مقاييس اخلاقية تفرض على المعلم نوعا من الواجبات تجاه كل من زملائه وطلابه ومن ثم مجتمعه ، ولم تغرب هذه الواجبات عن اذهان المربين العرب فقد تناولوها بالشرح وحددوها تحديدا دقيقا .

١ — علاقة المعلم بزملائه

ان علاقة المعلم بزملائه يجب ان تكون علاقة تعاون وتسامح لا علاقة تحصب وتنافس(١) . وقد سبق وذكرنا(٢) ما لموقف المعلم تجاه زملائه من اثر في مقياس نقاوة هدفه وخلو غايته من النفع الشخصي ، وقلنا بأن المعلم الذى يريد بعلمه وجه الله مجردا عن الغايات الشخصية هو المعلم الذى يظهر صداقته لزملائه ومعاملتهم ويشكرهم على ما يقومون به من خدمة للعلم . وقد كتب احدهم قائلا :

((ليحذر كل الحذر من قصده التكثير بكثرة المشتغلين عليه والمختلفين اليه ، وليحذر من كراهته قراءة اصحابه على غيره ممن ينتفع به . وهذه مصيبة يبتلى بها بعض المعلمين الجاهلين وهي دلالة بينة من صاحبها على سوء نيته وفساد طويته . بل هي حجة ظاهرة قاطعة على عدم ارادته بالتعليم وجه الله الكريم . لانه لو اراد الله بتعليمه لما كره ذلك بل قال لنفسه انا اردت الطاعة بتعليمه وقد حصلت . وهو قصد بقراءته على غيرى زيادة علم فلا عتب عليه))(٣) .

اما الغزالي ، فلم يرض بموقف المعلم السلبي من التعاون فحسب ، بل ذهب الى القول بضرورة مساهمة المعلم في تشجيع طلابه على الاخذ من غيره من المعلمين(٤) ، كما ذهب آخر الى ابعد

---

(١) الشعراوى ، البحر المورود .

(٢) ص ٢١ .

(٣) النووى ، التبيان ص ١٨٤ . الغزى ، الدر ص ١٧٨ . البيكاني ، نهج ص ٨٥ — ب

(٤) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٥٤

من ذلك فقال بضرورة مشاركة المعلم طلابه في الاستفادة ممن يفوقه مقدرة من العلماء[١] . لا بل عليه ان لا يستنكف عن الاخذ ممن هم دونه مقدرة او سنا من المعلمين ،لان الفائدة وحدها يجب ان تكون رائدة[٢] .

والمعلم النبيل ، من سلك المسلك نفسه مع طلابه ، فسمح لهم بزيارة من يرغبون زيارته من العلماء ، وساعد من اراد منهم التتلمذ على غيره من العلماء من ذوي الاختصاص ، ولا يحق له منع الطالب عن ذلك الا اذا تيقن من فساد المعلم الاختصاصي ، واعتقد مخلصا بانه قد يهدم باثره السيء ما كونه عند الطالب من صلاح وتقوى[٣] .

اما المتصوفون من العلماء ، فلم يكتفوا بمجرد ارشاد الطلاب وتشجيعهم على الاخذ ممن اشتهر من العلماء ، بل تعدوا فكرة الاستحسان الى فكرة الوجوب ، فمن واجب المعلم الصوفي ، اذا عرف انه قد حل في حلقته عالم اقدر منه على نفع الطلاب ، وأعرف منه بالطريق الى الله عز وجل ، ان يرسل اليه كل من اتاه من الطلاب في طلب المعرفة[٤] .

وانها لطعنة في صميم الاداب المهنية ، ان يعمد المعلم الى الحط من قدر احد زملائه امام طلابه ، او ان يتناول بالنقد والذم الدروس التي لا يقوم بتدريسها ، سواء كان ذلك صحيحا ام صريحا ،فان ذلك شأن الضعفين والمتعصبين من العلماء ،لا شأن المخلصين منهم[٥] .

---

(١) الشعراني ، مقدمة ص ٥ .

(٢) ابن جماعة ، تذكرة ص ٢٨ .

(٣) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٥٤ . البوكاني ، نهج ص ٨٥ — ب

(٤) الشعراوي ، البحر المورود .

(٥) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٥٤ . البوكاني ، نهج ص ٨٧ .

الشزري ، الدر ص ١٧٧ . ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٢ .

٢ — علاقة المعلم بطلابه

لقد وصف لنا العربون العرب نوع العلاقة التي يجب أن تقوم بين المعلم والطالب بأنها علاقة ود وتجانس ، وذهبوا الى ان المعلم والمتعلم شريكان في طلب المعرفة ، والى ان المعلم يجب ان يسترشد بطلابه ويتعلم منهم ، كما يرشدهم ويعلمهم(١) . اما المتصوفون من العلماء فقد اعتبروا الشيخ والمرشد رفاقا يسيرون سوية في الطريق الى الحقيقة(٢) . كما ذهب البعض الآخر الى ان المعلم يجب ان يجري تلاميذه مجرى بنيه وذلك احتذاء بالرسول حينما قال لاصحابه :

((انما لكم مثل الوالد لولده))(٣)

لا بل يجب ان يكون ولد المعلم الالهي (تلميذه) احب اليه من ولده الطبيعي (ابنه)(٤) ولذلك قالوا بان حقوق المعلم وواجباته اعظم من حقوق الوالدين وواجباتهما فالاب هو سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية اما المعلم فهو سبب الحياة الباقية(٥) .

واليك بعض الشروط التي يجب ان تتصف بها علاقة المعلم بطلابه من الناحية العلمية :

١ — ان على المعلم واجب اساسي تجاه طلابه وهو تعليمهم وتهذيبهم ، وبذلك فقط يحق له اخذ الثمن على تعليمه . اما اذا اخل بهذا الواجب ، وسعى لنفسه ان يطالب اولياء طلابه بما عليهم من واجب دفع الثمن له ، فان ذلك يعد اخلالا بالعقود التي ابرم الله بوفائها(٦) .

٢ — على المعلم ان يكون غيورا على مصلحة طلابه ، فيخصص وقت الدرس للعمل الجدي ، لا

---

(١) الثعري ، جامع ص ١٥ . الصيدري ، المدخل ج ١ ص ٥٥ ، ٥٦ .
طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٦ .

(٢) طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٣٥ . البكري ، نظم ص ١٠٠ .

(٣) ابن ماجة ، الطهارة ١٦ .
الغزالي ، فاتحة ص ٦٠ واحياء ج ١ ص ٥٢ . الصيدري ، المدخل ج ١ ص ٣٤٨

(٤) طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٣٥ .

(٥) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٥٢ . طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٣٥

(٦) الطوسي ، ٥٣ — ب .

لقلل الوقت ، بحيث لا يحوله عن عمله اثناء الدرس مساعدة وأثر أو كتابة أو قراءة في غير موضوع الدرس ، الا اذا تيقن من انشغال طلابه بعمل مجد ، وكان باستطاعته مراقبتهم وتفقدهم(١) .

٣ــ على المعلم ان يكون دقيقا ونظاميا في المحافظة على مواعيد دروسه ، فلا يخل بذلك لمجرد مرض خفيف او الم عارض الم به(٢) . ولا يقبل له عذر اذا تغيب عن دروسه بسبب مرض عاده ، او شهادة اداها ، او موت صلى على جنازته ، اللهم الا اذا لم يكن لغيابه من بد(٣) .

٤ــ على المعلم ان يحمي الحضور من طلابه حين دخوله غرفة الدرس ، ومن ثم يأخذ مجلسه بكل سكينة ووقار ، مراعيا في ذلك الآداب الاجتماعية (§ ٤)) .

٥ــ وعليه ان يمكث بعض الوقت ، حين انتهاء الدروس وقيام طلابه للخروج وذلك بغية تجنب مزاحمة طلابه له ، واعطاء الفرصة لمن يود القاء الاسئلة عليهم(٥) .

٦ــ يجب الا يستخدم احد من الطلاب في قضاء حاجات المعلم الخاصة ، الا اذا وافق اولياؤهم على ذلك ، ولهذا يتحتم على المعلم ان لا يستخدم المتعلم من طلابه مهما قضت الظروف(٦) . وتسري هذه القاعدة ايضا على الاعمال الادارية في شئون المدرسة ، كارسال احد الطلاب لاحضار من تغيب من الطلاب عن الحضور(٧) .

٧ــ على المعلم ان يعامل الطالب معاملة الند للند فعندما يبلغ هذا مستوى من الثقافة معادلا لمستواه ، اما اذا فاقه علما ومهارة فالواجب يدعوه الى زيادة الاحترام ،

---

(١) التلمساني ، احوال ص ٦٤ ــ ٦٦ . العبدري ، المدخل ج ٢ ص ١٦٢ .
(٢) ابن جماعة ، تذكرة ص ٢٧ . الغزي ، الدر ص ١٥٩ . التلمساني ، احوال ص ٥٣
(٣) التلمساني ، احوال ص ٦٤ ، ٦٥ . العبدري ، المدخل ج ١ ص ٣٥٤ .
(٤) العاملي ، حبة ، المقتطف ٥٨ ص ٢٦٢ .
(٥) ابن جماعة ، تذكرة ص ٤٥ . الغزي ، الدر ص ١٨٨ .
(٦) العبدري ، المدخل ، ج ٢ ص ١٦١ . الهيثمي ، تحرير ص ٦٨ ــ ٧١ .
(٧) الهيثمي ، تحرير ص ٦٨ ــ ٧١ .

بل ويذهب الى ابعد من ذلك فيستمع الى دروسه اذا اقتضت الحاجة ذلك(١) . قال الحميدي (وهو تلميذ الامام الشافعي) :

((صحبت الشافعي فمن مكة الى مصر فكنت استفيد منه المسائل وكان يستفيد مني الحديث))(٢)

٨ — عندما يبلغ الطالب الدرجة التي لا يستطيع المعلم بعدها ان يكون ذا فائدة لهم ، عليه ان يشجعهم لمغادرة التعليم ، ومن ثم عليه ان يعرف الناس بالتقاط طلبهم ، وذلك بان يمدح مقدرتهم العلمية ، اما اذا شاهد من بعضهم الفطنة والنبوغ ، فما عليه الا ان ينصحهم بمتابعة دراستهم ، ويساعدهم في البحث عن اشتهر من العلماء في اطراف البلاد للاخذ عنه(٣) .

٩ — على المعلم ان يكون شديد التسامح مع طلابه ، وان يتأهل من اساء منهم بالصفح والغفران وطيب القول ، لا ان يحاط من اساء اليه بقسوة وجفاء ، لان من قليل الشر بمثله لا يتصف بصفات العلماء(٤) .

١٠ — واخيرا يحسن بالمعلم ان لا يجمع بين الذكور والاناث في مكان واحد ، قال سحنون ، وهو احد علماء القرن الثالث الهجري :

((اكره للمعلم ان يعلم الجواري ، ويخلطهن مع الغلمان ، لان ذلك فساد لهن))(٥)

---

(١) البكري ، نظم ص ١٠٧ — ب ، ١٠٨ .

(٢) ابن جماعة ، تذكرة ، ص ٢٩ .

(٣) العاملي ، نهاية ، الملتقط ٥٨ ص ٢٦١ . العثماني ، آداب ص ٧ .

(٤) ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٤ .

(٥) القابسي ، احوال ص ٥٧ — ب .

٣ــ علاقة المعلم بالمجتمع

ان علاقة المعلم بمجتمعه يجب ان تتميز بالتعاون والتفاهم وحسن الالتفات ، واليك بعض الاعتبارات التي يجب ان تتحكم في سلوك المعلم الاجتماعي :

١ــ على المعلم ، تجاه مجتمعه ، واجبات مهنية شبيهة بواجباته تجاه طلابه ، فمن واجبه كمعلم ، اذا راى من احد جلسائه ، او اصحابه ، او معارفه ، عملا خاطئا او مخالفا للسنة ان ينبهه الى مواطن الخطأ ، ويرشده الى طريق الصواب[١] .

٢ــ على المعلم ان يرضى لرضا الشرع وان يغضب لغضبه ، قال بعض العلماء :

((ان تغيير المنكر باليد متعين على الامراء ، وباللسان متعين على العلماء ، وبالقلب متعين على غيرهما)) . ولذلك كان من اهم واجبات المعلم الاجتماعية ان يسعى لتقويم المنكر من الاعمال لو ازالته ، اما اذا خاف سلطانا جائرا ، او كان في ظرف لا ينفع فيه الامر بالمعروف ولا النهي عن المنكر ، فقد سقط عنه هذا الفرض[٢] .

٣ــ على المعلم واجب العطف على اصدقائه ، والاهتمام بمصالحهم ، وتقديم المعونة لهم ومساعدتهم في قضاء حوائجهم ، وحل ما يعترضهم من مشاكل ، كما ان عليه ان يتقيد بالآداب الاجتماعية معهم ، من حسن اللقاء ، وحسن السلام ، وادب الحديث[٣] .

٤ــ على المعلم ان يجتنب مواضع التهم ، خوفا على نفسه من الظنون السيئة[٤] .

٥ــ على المعلم ان يتنزه عن المهن المكروهة ، ويبتعد عن غير المستحسن من الاعمال ((كالحجامة ، والدباغة ، والصرف ، والصياغة))[٥] .

٦ــ انه مما يخل بآداب المهنة حقا ، ان يعمد المعلم الى جذب انتباه الجمهور بان يعلق اعلانا على باب مدرسته[٦] .

---

(١) العبدري ، المدخل ، ج ١ ص ٩٤ .

(٢) العبدري ، المدخل ، ج ١ ص ٩٤ ، ٥٨ ، ٥٩ .

(٣) النووي ، آداب ، المجلس ٧ ص ٢٨٨ . البكري ، نظم ص ١٠٧ ــ ب . الانقروي ، نصحة ص ٣٧ ــ ب .

(٤) الحلوي ، المعيد ، ص ٣١ .

(٥) ابن جماعة ، تذكرة ص ١٩ .

(٦) العبدري ، المدخل ، ج ٢ ص ١٦٦ .

٧ — وليس بمستحسن ايضا ، اذا شاء المعلم دعوة اوليائه الطلاب الى حضور حلقة من حلقات مدرسته ، ان يخالي بألقاب التعظيم ، او ان ينظم دعوته شعرا(١) .

٨ — على المعلم ان يتودد لمن يزوره في مدرسته ، ويقابله بكل بشاشة وسرور ، ويرحابه صدر اما اذا اقبل بعض الزوار الى الصف والمعلم مشتغل في شرح مسألة ما ، فحسن اللقاء يحدو به الى ان يمسك عن الشرح حتى يجلس الزائر ، ومن ثم يعيد شرح ما سبق وشرحه باختصار لافادة الزائر ، واذا اقبل والدرس على وشك الانتهاء ، فمن المستحسن ان يؤخر انتهاء حصة الدرس بعض الوقت ، لئلا يخجل العقيل بقيام الطلاب حين قدومه (٢)

اما علاقة المعلم باوليائه الطلاب فيجب ان تكون علاقة تعاون وثيقة ، وخاصة بأوليائه الصغار من الطلاب ، فالصبي امانة في عنق والديه (٣) ، وعلى الرغم من ان مسؤولية تربيته يمكن ان تناط بالمعلم وحده ، فان هذا الاخير لا يستطيع في بعض الاحوال ان يؤدي واجبه كاملا دونما مساعدة ، واليك بعض الظروف التي يجب على المعلم ان يسأل فيها مساعدة اوليائه الطلاب او موافقتهم :

١ — عندما يود المعلم تحديد بعض الواجبات المدرسية العطل المدرسية (٤)

٢ — عندما يجابه من قبل الطالب باساءة بالغة ، كالاهمال ، والانقطاع المتكرر عن الدروس او التهديد ، او الريبة (٥) .

٣ — عندما يجد نفسه مجبرا على فرض عقاب جسدي يتعدى الثلاث ضربات (٦) .

٤ — عندما يحتاج الى مساعدة الطلاب لقضاء حاجاته الخاصة او لعمل اداري في المدرسة (٧) .

٥ — واخيرا عندما يرغب في تعيين بعض الاذكياء من الطلاب لتوجيه من هم اقل كفاءة من رفاقهم (٨) .

---

(١) العبدري ، المدخل ج ٢ ص ١٧٠ .

(٢) ابن جماعة ، تذكرة ص ١٤ . الغزي ، الدر ص ١٨٦ .

(٣) الغزالي ، احياء ج ٣ ص ٦٦ . العبدري ، المدخل ، ج ٣ ص ٣١٠ .

(٤) التلمساني ، احوال ص ٦١ ، ٦١ — ب .

(٥) نفس المصدر ص ٥٥ — ب ، ٥٦ ، ٥٨ .

(٦) نفس المصدر ص ٥٦ .

(٧) نفس المصدر ، ٦٣ ، ٦٣ — ب . العبدري ، المدخل ، ج ٢ ص ١٦٨ .

(٨) التلمساني ، احوال ص ٦٣ — ب .

واخيرا ، ينتظر من المعلم ، وهو الوجه الاول للمجتمع ، ان يكون على غاية من الكمال (١) وهذا ما يفرض عليه ان يكون متزوجا ، لان الظنون السيئة كثيرا ما تتناول غير المتزوج من المعلمين ، ولا يشفع له عندئذ استقامة اخلاقه ، او صلاح سلوكه (٢) .

ولما كان المعلم قدوة للمجتمع ، فان زوجته سوف تصبح قدوة لغيرها من النساء (٣) . وهكذا يتعين على المعلم القيام ببعض الواجبات تجاه اهله بصورة عامة وزوجته بصورة خاصة (٤) ، ومن هذه الواجبات عددت لنا المصادر ما يلي :

١ — لقد احل الشرع تحلي النساء بالذهب والفضة واجاز لهن لبس الحرير ، ولكن ضمن حدود نص عليها الشرع ، فعلى المعلم ان لا يبيح لزوجته الافراط في الزينة ، كان تعمد الى صنع جميع ادوات وزينتها من الذهب ، كما ان عليه ان يمنعها من استعمال المساحيق التي من شانها ان تمنع وصول الماء الى بشرتها ، وان يمنعها من التبرج الزائد امام الملأ (٥) .

٢ — على المعلم ان لا يتهاون مع زوجته فيما يتعلق بالفرائض التي نص عليها الشرع ، بحيث ينتهي اهماله ذلك ، الى اهمال زوجته الصلاة والصوم وغير ذلك من الفرائض الدينية ، وذلك لقول النبي ((الرجل راع في بيته وهو مسؤول عن رعيته (٦) .

٣ — وهذا ما يحتم على المعلم ان يعلم زوجته الاحكام الشرعية من فرائض وسنن (٧) .

---

(١) العبدري ، المدخل ، ج ٢ ص ١٦٧ .

(٢) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٣٩ .

(٤) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٣٩ .

(٥) نفس المصدر ، ج ١ ص ٤٠ .

(٦) نفس المصدر ، ج ١ ص ٤٠ .

(٧) نفس المصدر ، ج ١ ص ٤٦ — ٤٨ .

الفصل الثامن

ادارة المدرسة

يمكننا حصر ادارة المدرسة ، كما سيرد من خلال المصادر ، في ثلاثة عناوين :

١ — المعلم وغرفة الدرس

٢ — الطلاب والنظام

٣ — مواقيت الدروس والعطل المدرسية

١ — المعلم وغرفة الدرس

يحسن بالمعلم ان يكون شديد العناية بامر غرفة الدرس ، لما لها من اثر في صحة طلابه وراحتهم من جهة ، ونشاطهم الفكري وانتباههم من جهة اخرى ، فيجب ان تكون واسعة ، وان ((خير المجالس اوسعها)) هو حديث مروي عن النبي (١) ، كما يجب ان تكون بعيدة عما يؤذي الطلاب من حر او برد او غبار او دخان او اصوات مزعجة ، ونحو ذلك مما يعيق الطلاب عن تادية واجباتهم (٢) .

اما موقع المعلم من الغرفة ، فيجب ان يكون بحيث يشرف على جميع طلابه ، ليستطيع ان يرى كل منهم بسهولة ويسر ، كما يستطيع كل منهم ان يراه (٣) .

وعلى المعلم ايضا ان لا يوجه خطابه وانظاره الى جهة واحدة دون الاخرى ، بل يحسن به عند شروعه الدرس ان يوزع انظاره ويوجه خطابه الى كل طلابه على حد سواء ، فلا يفرق بين فقيرهم وغنيهم ، ولذلك يحسن الطلاب ان يتخذوا من مكان جلوسهم جهة واحدة ليسهل على المعلم ان يراهم جميعا (٤) .

---

(١) النووي ، التبيان ص ١٨١ وآداب ، المقتبس ٧ ص ٢٨٨ . اليوسفي ، نهج ص ٨٣ — ب

(٢) الغزي ، الدر ص ١٨٣ . العاملي ، حبة ، المقتطف ٥٨ ص ٢٦٣ .

(٣) ابن جماعة ، تذكرة ص ٣٣ . الغزي ، الدر ص ١٧٩ . ٢٢١ .
النووي ، آداب ، المقتبس ٧ ص ٢٨٨ .

(٤) ابن جماعة ، تذكرة ص ٣٤ . الغزي ، الدر ص ٢٢١ . العاملي ، حبة ، المقتطف ٥٨ ص ٢٦٢

اما وضعية المعلم في الصف ، واسلوبه في جلوسه وحديثه وحركته ، فقد نالا نصيبا من اهتمام المربين ايضا ، فنصحوا المعلم بأن يكون وقورا في جلوسه غير مخل بآداب الجلوس الاجتماعية ، فلا يجلس هكذا باحدى يديه الى جنبه او رافعا احدى رجليه على الاخرى ، او هادا رجليه بدون عذر(١) ، وبان يكون ثابتا في حركاته ، بطيء الالتفات ، قليل الاشارات ، مسيطرا تمام السيطرة على حركات يديه واعضاء وجهه ، وبان يتجنب سرعة التنقل من مكان لآخر ، او العبث بيديه او تشبيكهما او التمادي في رفع الحواجب وحط الشفاه ورفرفة العينين(٢) .

اما صوت المعلم ، فهو عامل آخر من عوامل حسن ادارة الصف ، فعليه ان ينتبه الى صوته لئلا يكون شديد الارتفاع فيزعج السامعين ، او شديد الانخفاض فيستلزم جهدا وعناء لسماعه مما يضج من بعض طلابه كمال فهم ما يقول(٣) .

٢ــ الطلاب والنظـــــــام

يجب ان تكون علاقة الطالب بمعلمه ورفاقه ومجتمعه خاضعة للنظام ، اما في الصف فيعد النظام من العوامل الضرورية لسير الدروس ، وبدونه يصبح التعلم والتعليم مستحيلا(٤) ، ولهذا يحسن بالمعلم ان يصون مجلس الدرس من كل ما من شأنه ان يخل بالنظام ، وان يكون حازما في ضبطه . ولاجل ان يوجه انتباه الطلاب وحسن تعاونهم عليه ان يذكرهم بان الهدف المقصود من اجتماعهم في الصف ، هو التعاون على اظهار الحقيقة ، وهذا ما يستلزم منهم عملا مشتركا وحبا في التعاون والنظام ، ونبذا المشاحنة والبغضاء(٥) ، ولاجل ان تعرف مبلغ ما لسيطرة المربين على النظام من اهمية ، يكفي ان نطلع في مصادر بحثنا على الواجبات التي فرضت على الطلاب ، وعلى القواعد العامة لسلوكهم اثناء الدرس(٦) .

---

(١) ابن جماعة ، تذكرة ص ٣٢ . الغزي ، الدر ص ١٧٦ .

(٢) الغزي ، جامع ص ٧٦ . الغزي ، الدر ص ١٧٦ .

(٣) ابن جماعة ، تذكرة ص ٣١ . النووي ، آداب ، المقنبس ٧ ص ٢٨٨ .

(٤) ابن جماعة ، تذكرة ص ٤٠ . منهاج التعلم .

(٥) ابن جماعة ، تذكرة ص ٤٠ . النووي ، آداب ، المقنبس ٧ ص ٢٨٨ . الغزي ص ١٨٤ ــ ١٨٥

(٦) الغزي ، الدر ، ص ١٨٥ . الحاطبي ، هدية ، المقتطف ٥٨ ص ٢٦٣

وقد نصح المعلم ايضا اذا شاء المحافظة على النظام ، ان يعتني باحوال وأحوال طلابه الجسدية منها والنفسية ، كما يعتني باحوال الصف المادية ، فلا يقوم بالتدريس وبه او بطلابه ما يؤجهم من مرض او جوع او عطش او نعاس ، او اذا تبلبلت افكارهم لغضب او ملل او قلق (١) .

ونصح ايضا ان يعود طلابه ، السلوك الجيد والعمل المنظم ، فذهب العبدري (ت ٧٣٧ هـ) الى وجوب تعويد الطلاب على نوع من النظام في تحديد اوقات القراءة او الكتابة على الالواح او رفع الالواح في اوقات معينة ليتسنى للمعلم الاشراف التام على الطلاب جميعا (٢) .

كما ذهب آخرون الى وجوب تعويدهم الاصغاء التام ، والاقبال على ما يقول بكل انتباه وسكون مبتعدين عن كل ما من شأنه تشويش الافكار واخلال نظام الدرس ، فيمنعهم عن النحنحة او التكلم بدون اذن ، كما يمنعهم من الالتفات الحكور يمنة ويسرة دون مبرر ، او العبث بادواتهم المدرسية (٣) .

هذا ، ولكي يسير الدرس بنظامه المعتاد ، على الطلاب ان يعتادوا المعلم في حضورهم الى الصف ، لئلا يضطر يضطر المعلم ان ينتظر من تأخر منهم فتضيع الفائدة على باقية الطلاب (٤) .

اما فيما يتعلق بعلاقات الطلاب فيما بينهم ، داخل غرفة الصف ، فيجب ان تكون علاقة تصح وتعاون لا علاقة تنافس وحسد وخصام (٥) .

٣ــ توقيت الدروس والعطل المدرسية

لقد اعتنى العلماء بترتيب جدول مواقيت الدروس وعنايتهم بنوع الدروس نفسها ، وذلك لما لهذا التوقيت من اثر في سير الدروس (٦) ، وضبط النظام فيها ، فنصحوا المعلم بان يراعي في تنويتها الشروط التالية :

---

(١) ابن جماعة ، تذكرة ص ٣٣ ، ١٦١ . الغزي ، الدر ص ١٨٣ . النووي آداب المتعلمين ٧ ٢٨٨

(٢) العبدري ، المدخل ج ٢ ص ١٦٤ .

(٣) الغزي ، الدر ص ٢٠٤ ــ ٢٠٥ . النووي ، آداب المتعلمين ٧ ص ٢١٠

(٤) الغزي ، الدر ص ٢٠١ .

(٥) الزرنوجي ، تعليم ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٦) العبدري ، المدخل ج ٢ ص ١٦٤ .

١ — ان يراعى ، في تنظيمه جدول مواقيت الدروس ، مصلحته كما يراعي مصلحة طلابه ، وخاصة فيما يتعلق بالحصة الاولى (١) .

٢ — ان لا يطيل من فترة الدرس اطالة تدعو الى الملل ، فيضيع عن طلابه الاحاطة بالدرس وفهمه وان لا يختصرها اختصارا يخل بشرح الدرس ، فلا تتم الفائدة منه (٢) .

٣ — ان يفصل ما بين الدروس بفترة يخصصها للراحة واللعب . وقد اطبق اكثرهم على ان ((منع الصبي من اللعب وارهاقه في التعليم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه)) (٣) .

٤ — اذا مل الطلاب درسا من الدروس ، فما على المعلم الا ان يشغلهم بدرس آخر ، لان تنوع المواضيع خلال درس واحد يخفف من عناء الطلاب ويذهب عنهم الملل (٤) .

٥ — واخيرا ، يجب ان يكون في جدول مواقيت الدروس مكانا للعطل الاسبوعية والعطل المدرسية بمناسبة الاعياد ، وقد ذهب التلمساني الى ان يوم الجمعة ، ليس بالعطلة الاسبوعية الكاملة بل يجب ان يضم اليه بعد ظهر الخميس (٥) . ونصح العبدري بان تكون العطلة الاسبوعية يومين كاملين ، لان زيادة الراحة يرافقها زيادة في نشاط الطلاب (٦) .

وقد علق المربون ايضا اهمية كبرى على عطل الاعياد ، فحددوا عدد ايام كل عطلة منها ، كما اباحوا غير ذلك من العطل شريطة ان يكون ذلك بموافقة اولياء الطلاب ورضائهم (٧) .

---

(١) ابن جماعة ، تذكرة ص ٤٤ . الشوى ، الدر ص ١٨٣ .

(٢) ابن جماعة ، تذكرة ص ٣٨ . الشوى ، الدر ص ١٨٣ . النووي ، آداب المتعلمين ٧ ص ٢٨٨

(٣) الغزالي ، احياء ج ٣ ص ٦٨ . العبدري ، المدخل ج ٣ ص ٣١٣ . ابن مسكويه ، تهذيب ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٦ .

(٤) الزرنوجي ، تعليم ص ٥٦ .

(٥) التلمساني ، احوال ٦٠ — ب ، ٦١ — ب .

(٦) العبدري ، المدخل ، ج ٢ ص ١٦٨ .

(٧) التلمساني ، احوال ، ٦٠ — ب ، ٦١ — ب . العبدري ، المدخل ، ج ٢ ص ١٦٨ .

الفصل السادس

تهذيب الاخلاق

١ — اهمية التهذيب الاخلاقي

لقد اهتم العرون العرب اهتماما عظيما بتهذيب الاخلاق كما اهتم به اليونان من قبلهم واستشهدوا على بلوغ هذه الاهمية ببعض الايات القرآنية الكريمة وبعض احاديث النبي .

قال الله تعالى مخاطبا النبي "

((وانك لعلى خلق عظيم))(١)

وقال النبي " ((اثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق)) "(٢) .

والخلق الحسن في الدين الاسلامي هو بطانة الايمان ، وكمال الدين ، كما يبدو ذلك في الاحاديث التالية "

((جاء رجل الى رسول الله من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين ؟ قال حسن الخلق ، فاتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين ؟؟ قال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال ما الدين ؟ فقال حسن الخلق))(٣) .

((قيل يا رسول الله اى المؤمنين افضلهم ايمانا؟ قال احسنهم خلقا))(٤) .

وان العبادة المواصلة لا تشفع لسيء الخلق "

((قيل لرسول الله ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من اهل النار))(٥) .

---

(١) سورة القلم آية ٤ .
الغزالي ، احياء ، ج ٣ ص ٤٦ . ب

(٢) سنن ابي داوود ، ادب ٨ . الترمذي ، بر ٦١ ، ٦٢ . ابن حنبل ، ج ٦ ص٤٤٢،٤٤٦
الغزالي ، احياء ، ج ٣ ص ٤٦ .

(٣) ابن حنبل ، ج ٤ ص ٣٨٥ . الغزالي ، احياء ، ج ٣ ص ٤٦ .

(٤) سنن ابي داوود ، سنة ١٤ . ابن حنبل ج ٦ ص ١٥٢ .
الغزالي ، احياء ، ج ٣ ص ٤٧ .

(٥) لم اجده في الكتب الستة . الغزالي ، احياء ، ج ٣ ص ٤٦

وروى عن لسان الامام مالك بن انس قولا بهذا المعنى اذ قال "

((ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنة وهو غير عابد وبسخيمة خلقه اسفل درك في جهنم وهو عابد))(١) .

وقال الجنيد "

((حسن الخلق هو كمال الايمان))(٢) .

((وقال ابن عباس لكل بنيان اساس واساس الاسلام حسن الخلق))(٣) .

هذا ، وذهب كثير من العلماء المعاصرين الى ان الدين الاسلامي كان اصلا من اصول التربية الخلقية عند العرب ، وخاصة عند اهل السنة ، الذين يعتقدون بان الانسان لا يعرف الخير من الشر الا عن طريق الله وارادته ، ولهذا كان اعتمادهم على كتاب الله كمعلم اول للاخلاق الصحيحة ، ومن ثم على احاديث النبي ، والقرآن يزخر بالقواعد العملية الاخلاقية التي تتناول اقلب احوال الناس في سلوكهم العملي ، ومعاملاتهم فيما بينهم(٤) .

والدين الاسلامي ، بما فيه القرآن والحديث لم يكن الاصل الوحيد ، وان كان الاساسي في تحديد مفهوم التهذيب الخلقي عند العرب ، بل هناك كما رأى بعض العلماء المعاصرين ، الفلسفة الخلقية اليونانية التي كان لها اثرها الظاهر في تكوين فلسفة العرب الاخلاقية ، وخاصة فلسفة افلاطون وارسطو ، وقد ظهرت هذه الفلسفة بأوضح ما ظهرت عند ((ابن مسكويه)) في كتابه ((تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق))(٥) .

وقد ذهب الغزالي الفكرة القائلة بان هدف التربية هو حصول المعرفة فقط ، وذهب الى ضرورة تنمية الوعي الاخلاقي عند الطالب(٦) ، كما ذهب آخرون الى ان تهويض النفس على محاسنها وتطهيرها من عيوبها شرط ضروري لتلقي العلوم(٧) ، ولذلك كان على المعلم ان يتخير اخلاق

---

(١) الغزالي ، احياء ، ج ٣ ص ٤٨ .

(٢) نفس المصدر ، والصفحة .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) Macdonald , Amer . Journal of Ethics . PP . 287 _ 288 .

الاهواني ، التعليم ص ٩١ — ٩٦ .

(٥) Goldziher , ((Edu . _ Mus .)) E.R.E. . Macdonald , Int. Jou. ofEthics P 289 .

(٦) الغزالي ، احياء ، ج ١ ص ٤٣ — ٤٦ .

(٧) ابن الطقطقي ، الادب الكبير ص ٧ . وصية افلاطون ص ٥٦ . طاش كبرى زاده ، مفتاح ج ١ ص ١٣

الطالب قبل الشروع في تعليمه فان وجده ردىء الخلق منع عنه العلم ، وان وجده مهذب الاخلاق اشتغل بتعليمه ، لان العلم اذا لم يقترن بالاخلاق الحميدة يصبح آلة للفساد (١) . وكما اشتد العيون العرب باهمية الطبيعة الانسانية ، كذلك اشتدوا باهمية التهذيب وتربية الاخلاق (٢) ، فذهب احد عيون القرن الثامن الميلادى الى القول :

((وكما ان النبتة العذبة في الارض لا تقدر ان تخلع بسببها وتظهر ثمرتها وتطلع فوق الارض بزهرتها وريعها وفاكهتها وثمارها الا بمعونة الماء الذى يغور اليها في مستودعها فيذهب عنها الى اليبس والموت ويحدث لها باذن الله القوة والحياة ، فكذلك سليقة العقل مكونة في طرفها من القلب ، لا قوة لها ولا حياة بها ولا منفعة عندها حتى يعطيها الادب الذى هو ثمارها وحياتها ونافعها))(٣) .

وعلق الغزالي على بعضهم قوله بان الخُلق كالخَلق لا يقبل التغيير ، وذهب الى ان الموجودات تنحصر في قسم ليس لنا فيه فعل ولا اثر كالسماء والكواكب ، وقسم آخر هو قوة التغيير ، وذلك عن طريق التربية وارادة الانسان ، ثم قال :

((ان الدواة ليست بخاتم ولا منقوش ولكنها قابلة بالقوة لان تصير منقوشا بالتربية وغير قابلة لان تصير خاتما . وانما تصير منقوشا اذا تعلق بها اختيار الادمي في تربيتها فكذلك لو اردنا ان نقلع بالكلية الغضب والشهوة في انفسنا ونحن في هذا العالم عبثا منا ، ولكن لو اردنا قهرهما لو سلسسهما بالرياضة والمجاهدة لقدرنا عليه))(٤) .

ويستطرد بعد ذلك قائلا لا خلاف بان طبائع الانسان وميوله مختلفة باختلاف الافراد ، فبعض هذه الطبائع سريعة القبول للتهذيب ، وبعضها الاخر بطيء القبول له ، وهذا يعود الى غريزة الانسان ومبلغ ما فيها من استعداد للخير والشر اولا ، والى مدى الانطباعات التي تتركها الاخلاق السيئة في العادات والمعتقدات ثانيا (٥) .

---

(١) طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٤٠ . الفارابي ، السياسة ص ٥٦ . ابن عربي ادب ص ٣ـ١

(٢) بروسون ص ١٨٢ .

(٣) ابن المقفع ، الادب الصغير ص ٥ ، ٦ .

(٤) الغزالي ، ميزان ص ٦٨ . ابن مسكويه ، تهذيب ص ٤٥ — ٤٦ .

(٥) الغزالي ، ميزان ص ٦٨ واحياء ج ٣ ص ٥١ — ٥٢ .

الطالب قبل الشروع في تعليمه فان وجده رديء الخلق منع عنه العلم ، وان وجده مهذب الاخلاق اشتغل بتعليمه ، لان العلم اذا لم يقترن بالاخلاق الحميدة يصبح آلة للفساد (١) . وكما اتفق العرب باهمية الطبيعة الانسانية ، كذلك اعتنوا باهمية التهذيب وتربية الاخلاق (٢) ، الذهب احد من القرن الثامن الهجري الى القول :

((وكما ان الحبة المدفونة في الارض لا تقدر ان تطلع بنفسها وتظهر زرعها وتطلع فوق الارض بزهرتها وريعها وفروعها وثمارها الا بمعونة الماء الذي يخرج اليها في مستودعها فيذهب عنها الذي اليبس والموت ويحدث لها باذن الله القوة والحياة ، كذلك سليقة العقل مكونة في غرزها من القلب ، لا قوة لها ولا حياة بها ولا هفعة تعدها حتى يعطيها الادب الذي هو تعاهدها وسياستها وتلقيحها))(٣) .

وعلق الغزالي على بعضهم قوله بان الخُلق كالخَلق لا يقبل التغيير ، وذهب الى ان الموجودات تنقسم ، قسم ليس لنا فيه فعل ولا اثر كالسماء والكواكب ، وقسم آخر منح قوة التغيير ، وذلك عن طريق التربية وارادة الانسان ، ثم قال :

((ان القوة ليست بطائع ولا فعيل ولكنها قابلة بالقوة لان تصير فعيلا بالتربية وغير قابلة لان تصير طائعا . واما تصير فعيلا اذا تعلق بها اختيار الادمي في تربيتها فكذلك لو اردنا ان نطبع بالكلية الغضب والشهوة في انفسنا ونحن في هذا العالم صبونا عنه ، ولكن لو اردنا قهرهما لو سلاسهما بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه))(٤) .

يستطرد بعد ذلك قائلا لا خلاف بان طبائع الانسان وميوله مختلفة باختلاف الافراد ، فبعض هذه الطبائع سريعة القبول للتهذيب ، وبعضها الآخر بطيء القبول له ، وهذا يعود الى غريزة الانسان ومبلغ ما فيها من استعداد للخير والشر اولا ، والى مدى الاحتياطات التي تتركها الاخلاق السيئة في العادات والمعتقدات تاليا (٥) .

---

(١) طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٤٠ . الفارابي ، السياسة ص ٥٦ . ابن عربي ادب ص ٣ـ١

(٢) بويسون ص ١٨٢ .

(٣) ابن الطقطقي ، الادب الصغير ص ٥ ، ٦ .

(٤) الغزالي ، ميزان ص ٦٨ . ابن مسكويه ، تهذيب ص ٤٥ ـ ٤٦ .

(٥) الغزالي ، ميزان ص ٦٨ واحياء ج ٣ ص ٥١ ـ ٥٢ .

٢ — اسلوب التهذيب الاخلاقي

لقد تلمس المربون ما في تهذيب الاخلاق من صعوبة فوضعوا بذلك بعض النصائح نذكر منهـــــا :

١ — من المحتمل ان يكون العرب قد تأثروا باليونان حينما اعتقدوا بان خير وقت لغرس الاخلاق الكريمة في النفس هو سن الطفولة(١) ، قال احد الكتاب :

((ان نفس الصبي ساذجة خالية من كل نقش وصورة وليس لها راى ولا عزيمة بعلمها من شيء الى شيء ، فاذا نقشت بصورة وقياسها نشأ عليها واعتادها))(٢) .

وقال آخر :

((ان الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر وانما ابواه يعلمان به الى احد الجانبين))(٣)

وقد استشهد بعضهم بحديث النبي للدليل على ما تقدم ، قال الرسول :

((كل مولود يولد على الفطرة الا ان ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه))(٤) .

وذكر بعضهم اسبابا وجيهة لوجوب البدء بتهذيب الاخلاق عند الصغر فقالوا : يمكننا حصرها بما يلي كلا لولا لان الصغير اسلس قيادا واسرع طاعة من الكبير ، لانها لا وجود في نفسه لعادات راسخة تقاوم غرس عادات جديدة ، ولا وجود عنده لارادة تقاوم غرس الحسن من العادات فالفا ان الصبي حينما يعتاد الاعمال الحميدة عند صغره تبقى معه الى ان يطويه الكبر(٥) وذهب بعض المربين الى ابعد من ذلك فنصح بالا يستخدم في حضانة الطفل وارضاعه الا امرأة صالحة ، صحيحة العقل ، وذلك خوف انتقال الشيء من الاخلاق عن طريق الرضاعة(٦)

---

(١) بوبسون ، تدبير ص ١٨٢ — ١٨٦ . ابن سينا ، السياسة ص ١٢ . الفرى ، ص ٤٠ ابن مسكويه ، تهذيب ص ٤٥ — ٤٦ . العبدري ، المدخل ج ٣ ص ٣١٠ ، ٣١٣ .

(٢) ابن مسكويه ، تهذيب ص ٧٧ . الغزالي ، احياء ، ج ٣ ص ٦٦ ط ٦٨ .
بوبسون ، تدبير ص ١٨٢ — ١٨٦ .

(٣) الغزالي ، احياء ، ج ٣ ص ٦٩ وعنوان ص ٧٨ . التلمساني ، الدوال ص ٢٨ .
الدرنوجي ، تعليم ص ١٩ .

(٤) البخاري ، الجنائز ، ٧٩ ، ٩٢ .
الغزالي ، احياء ، ج ٣ ص ٦٩ . التلمساني ، الدوال ص ٢٨ .

(٥) بوبسون ، ص ملتقط ١٨٢ .

(٦) الغزالي ، احياء ، ج ٣ ص ٦٧ . العبدري ج ٣ ص ٣١٠ . ابن سينا ص ١٢ . بوبسون ص ١٨٢

٢ — واهتم المربون العرب ، بالاثر الذى يتركه المحيط في اخلاق الناشئة ، فنصحوا بأن يحاط الصبي بكل ما هو حسن ويبعد عن كل ما هو قبيح[١] ، وان يحمل على مرافقة ذوى الاخلاق الحسنة من رفاقه ويبعد عن قرناء السوء[٢] . وان يوضع تحت رعاية الاخيار من المعلمين وان يقرأ الكتب الادبية التي تحض الفضائل وتعلم مكارم الاخلاق[٣] .

٣ — يعد احاطة الصبي بالمؤثرات الحسنة يعمل على تهذيبه وتوجيهه وتنبه لهذه المؤثرات وذلك بان يحمل الصبي في البدء على ان يتكلف الاعمال الصالحة ، بان يتعاد فاعليها والمواظبة على ذلك تصبح هذه الاعمال بحكم العادة راسخة في طبعه[٤] . وقد فسر الغزالي هذه الطريقة في التهذيب بالعبارة التالية " لكل عمل انساني مهما قل شأنه ، وسواء اكان خيرا ام شرا ، اثره في النفس وما الخصال الانسانية الا هذه الاثار مجتمعة[٥] .

وقد علق العبدري على هذه النظرية فقال "

((وكذلك سنة الله ابدا في خلقه ، اى من تزأ على شخص لا بد وان يسوق من طباعه وطريقته واصطلاحه فان لم تكن كلها كان بعضها فاذا كان ذلك كذلك فينبغي للعالم ان يأخذ نفسه اولا بالادب ...))[٦] .

٤ — ينصح المعلم ان يلجأ الى علاج الصفات الذميمة في نفوس طلابه بغرس الصفات الحميدة المضادة لها ، التي لا تثبت بحكم التكرار ان تصبح عادة وطبعا ، بعد ان كانت في البدء تكلفا وتمثيلا ، كعلاج البخل بتكلف الكرم ، والكبر بتكلف التواضع[٧] .

---

(١) بيسون ، ص ١٨٦ .
(٢) الغزالي ، احياء ، ج ٣ ص ٦٧ ، ٦٨ . الغوى ، الدر ص ١٩٣ . ابن سينا ص ١٣
(٣) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٦٦ . افلاطون ، وصية ص ٥٧ . ابن سينا ، السياسة ص ١٣
ابن مسكويه ، تهذيب ص ٧٦ .
(٤) الغزالي ، ميزان ص ٧١ — ٧٣ . الغوى ، البيان ص ١٨٧ وآداب ، الملخص ٧ ص ٢٨٦
(٥) الغزالي ، ميزان ص ٧٢ — ٧٣ وفاتحة ص ٢٣ .
(٦) العبدرى ، المدخل ج ١ ص ١٥ .
(٧) الغزالي ، ميزان ص ٧٨

٥ — مثل تهذيب الاخلاق وتنقية النفس من خصالها الذميمة كمثل علاج البدن وتنقيته من العلل فكما ان على الطبيب ان ينصح بالاعتدال في الاغذية وغير ذلك من شروط المعيشة العادية كذلك على المربي ان يراعي الاعتدال في تهذيب اخلاق الناشئة ، لان غاية التهذيب ليست في قمع بعض الصفات السيئة ، من شهوة ، وغضب ، وحب للدنيا ، واما شابه ذلك من خصال ، قمعا كليا بل المقصود من التهذيب السير بهذه الخصال الى — الاعتدال الذى هو حد وسط بين الافراط والتفريط ، ويكون ذلك بواسطة العقل واتباع الشرع (١) .

وكما ان على الطبيب معرفة نوع العلة قبل وصف الدواء ، كذلك على المربي ان يعرف عيوب طلابه كل على حده ثم يبدأ بتهذيب اخلاق كل منهم (٢) .

٦ — لقد عرف المربون العرب ما للفعالية الذاتية من قيمة واثر ، فنصحوا ان يلجأ الانسان الى تهذيب اخلاق نفسه ، فيبدأ اولا بمعرفة عيبه عيوبه واحصائها ، ومتى تم له معرفة ذلك سهل عليه اصلاحها ، وقد عمد الغزالي الى تعداد اربعة طرق لمعرفة عيوب النفس ، الطريقة الاولى ان يلجأ الى استشارة بعض العلماء ممن لهم معرفة بخفايا النفوس وآفاتها والثانية ان يطلب الى احد اصدقائه من ذوى الفطنة والذكاء ان يراقبه ليلاحظ ما به من عيوب فيخبره بها ، والثالثة ان يستفيد من السنة اعدائه في معرفة عيوبه وقد قيل :

((ان عين السوء تهدى المساويا)) ، ورابعها ان يلجأ الى المقارنة فيخالط الناس وكلما رأى منهم عادة سيئة يتساءل عما اذا كانت هذه العادة مغروسة في نفسه ، اى انه يرى من خلال عيوب غيره عيوب نفسه لان الطباع في اكثر الاحيان متقاربة (٣) .

وقد نصح ابن المقفع ان يجمع المرء عيوب نفسه في كتاب او يحفظها في قلبه ليتسنى له عدم نسيانها والمواظبة على اصلاحها ، وكلما اطلع عيبا حذفه من قائمة عيوبه (٤) .

---

(١) الغزالي ، ميزان ٧٧ — ٧٨ . ابن مسكويه ، تهذيب ص ٢٤ — ٢٦ .
الغزالي ، احياء ج ٣ ص ٥٢ — ٥٥ .

(٢) الغزالي ، ميزان ص ٧٩ .

(٣) الغزالي ، فاتحة ص ٥٩ — ٦٠ .

(٤) ابن المقفع ، الادب الصغير ص ١٧ .

٧ — بقي علينا اخيرا ان نعرف الطريقة التي يجب ان يسير عليها المربي في تهذيب اخلاق الاحداث هذ ولادتهم حتى بلوغهم سن الرشد ، وليذكر المربي ان الاب هذه المتاعب الثلاث قبل البدء بتهذيب الصبي وهي اولا يجب ان يبدأ التهذيب هذ الولادة قبل ان تهجم على الصبي الاخلاق السيئة (١) ، ولذا يجب ان يوكل في حضانته امرأة صالحة الاخلاق كاملة العقل ((لان اللبن يعدي كما قيل)) (٢) ، ثانيا يجب ان يكون المؤدب او المربي على غاية من كمال الخلق وحسن الخصال وتمام الدين ((لانه رضاع ثاني للصبي بعد رضاع الام)) (٣) ، كما ان عليه ان يكون حاذقا بفهم اخلاق الصبيان وطبعا باساليب رياضة اخلاقهم (٤) . واخيرا على المربي ان يتناول في تهذيبه جميع نواحي حياة الصبي ولا يقتصر على ناحية دون الاخرى (٥) .

وبما ان قوة الغذاء هي اولى القوى التي تظهر في الصبي ، يجب ان تكون آداب الطعام والشراب اول ما يجب ان يهتم به المربي (٦) . كما ان على المربي ان يعلم بان الحياء هو اول ما ينبغي ان يهتم به من قوى الطفل النفسية (٧) ، ويحدث هذا عندما يبدأ الصبي يحس الجمال والقبح ويميز الحسن من الردي (٨) .

وعلى المربي بعد ذلك ان يهتم بعادات الصبي الحسنة في حديثه وجلوسه ولباسه فيبعده من اعتياد العادات السيئة كحلف الايمان ، والتلفظ بخبيث الكلام والكذب (٩) .

---

(١) ابن سينا ، السياسة ص ١٢ . الصدري ، المدخل ج ٣ ص ٣١ .

(٢) الصدري ، المدخل ، ج ٣ ص ٣١ . ابن سينا ، السياسة ص ١٢ .

(٣) الصدري ، المدخل ج ٢ ص ١٧٢ .

(٤) ابن سينا ، السياسة ص ١٢ .

(٥) بويسون ، تعليم ص ٨٦ .

(٦) ابن مسكويه ، تهذيب ص ٨٠ .

(٧) نفس المصدر ص ٧٧ .

(٨) نفس المصدر والصفحة .

(٩) ابن مسكويه ، تهذيب ص ٨٢ ، ٨٣ .
الصدري ، المدخل ج ٣ ص ٣١٢ .

ويغرس في نفسه العادات الحميدة كطاعة الوالدين ، واحترام كل من هو اكبر منه سنا[١] وخدمة نفسه ومن هم اكبر سنا[٢] .

وتلي فترة الطفولة تلك ، فترة اخرى يصبح فيها الصبي تلميذا في احدى المدارس ، فعلى المربي في هذه الفترة ان يهتم بتاديبه حسب لوامر الشرع وتعويده التقيد باحكامه ، والتحلي بالاخلاق التي نص عليها[٣] . كما ان عليه في هذه الفترة تهذيب اخلاقه عن طريق الادب والشعر وهو في ذلك مطالب باختيار القطع الادبية الاخلاقية التي تطابق ما تعود من اخلاق حميدة كتلك التي تبحث في فضل العلم والادب وذم الجهل ، وتلك التي تحث على التحلي بمكارم الاخلاق[٤] وليستعد به ما امكنه من الاشعار التي تتناول الغزل ، او تصف العشق ، فانها تفسد على الصبي نفسه وتغرر في قلبه بذور الفساد[٥] . وعلى المربي في نفس الوقت ان يهتم باغناء الصبي على حب الكرامة ، واحترام الذات ، وذلك عن طريق الاخذ والعطاء ، فيفهمه مثلا وقولا بان الرفعة والشهامة في الكرم والعطاء وان اللؤم والرذالة في الاخذ والطمع ، ويكفي ان يدلل المربي على مهانة الاخذ والطمع بتشبيهه من يطمع في الاخذ بالكلب الذي يصبر بذنبه منتظرا اللقمة[٦] والى جانب ما تقدم ، عليه ان يحيطه برفق من كل سنه ، حسنة حسنة اخلاقهم " ((فان الصبي من الصبي اللين وهو عند آخذ ويه آنس))[٧] .

وعندما ينتقل الطالب الى فترة البلوغ على المربي ان يبين له بصراحة شرور معاشرة النساء ، وانها آفة فيها ضياع العمر وذهاب الدين[٨] .

---

(١) العبدري ، المدخل ، ج ٣ ص ٣١٣ .
(٢) ابن مسكويه ، تهذيب ص ٨٤ .
(٣) ابن سينا ، السياسة ص ١٣ . العبدري ، المدخل ج ٣ ص ٣١٣ و ج ٢ ص ١٦٤
(٤) ابن سينا ، السياسة ص ١٣ . ابن مسكويه ، تهذيب ص ٧٩ .
(٥) الغزالي ، احياء ج ٣ ص ٦٧ . ابن مسكويه ، تهذيب ص ٧٩ .
(٦) العبدري ، المدخل ج ٣ ص ٣١٢ . ابن مسكويه ، تهذيب ص ٧٧ .
(٧) ابن سينا ، السياسة ص ١٣ .
(٨) ابن جماعة ، تذكرة ص ٨٣ .

واخيرا عندما يبلغ الطالب مبلغ الرجال ويدرك اغراضهم ، على العربي ان يتبين له ان الغرض النهائي من هذه الحياة هو الاستعداد لدار البقاء والحياة الآخرة ، وان ذلك هـذه الدنيا ليست الا خلاصة من كلام(١) .

---

(١) ابن مسكويه ، تهذيب ص ٨٥ — ٨٦ .

٣— حزم بدون قسوة

لقد اجمع المربون العرب على ان يكون المعلم حازما في تهذيبه الطالب شديدا في اصلاحهم وزجرهم عن الاخلاق الشينة ، وقد قالى الصوفون منهم نصحوا الشيخ بان يأخذ المريض بنوع من الصرامة والشدة لا هوادة فيها ولا لين ، وفرضوا عليه وجوب مراقبة المريدين مراقبة دائمة ، ليتأكد من انهم على احسن حال من الاخلاق وسلامة السلوك[١] . قال احدهم "

((ينبغي للشيخ سياسة المريد وحركاته على قدر حاله ، وفي جميع افعاله يضيق عليه ولا يسامحه ... فان طالب الحقيقة ينبغي له احتمال المشاق وشدائد الرياضات والمجاهدات))[٢] .

وذهب آخر الى ابعد من ذلك فقال "

((ولا تميل الى الصفح عن زلته البتة ، فان فعل ذلك فشه ، ولا يترك المريد يخرج ولا يفعل شيئا الا باذن منه))[٣] .

وبينما نرى هؤلاء الصوفيين ينصحون المعلم باستعمال الشدة في تهذيب اخلاق المريدين ، نرى المربين من اهل السنة يحذرونه من استعمال القسوة والعنف في تهذيب طلابه ، وهذه وصية هارون الرشيد الى مؤدب ابنه الامين يقول فيها "

((ولا تمرن بك ساعة الا وانت مغتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير ان تكسوه مذمة فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغة ويألفه))[٤] .

---

(١) الشوى ، الدر ص ١٦٧ ، ١٦٨ . المنوي ، آداب ص ٦١ .
ابن عربي ، آداب ص ٣ — ١ .

(٢) العشاي ، آداب ص ٦ .

(٣) الانقروي ، تحفة ص ٣٤ . العشاي ، آداب ص ٦
الشوى ، مقصد ص ٣ — ب .

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٤١ .

وكتب ابن قتيبة قائلا :

((يستحب للعالم اذا علم ألا يعنف واذا علم ألا يأنف))(١) .

اما ابن خلدون ، فقد تعمق في شرح هذه المسألة ، فذكر في مقدمته شارحا ما في الشدة من ضرر على المتعلمين فقال :

((ان ارهاق الجسد في التعليم ضار بالمتعلم سيما في اصاغر الولد ، لانه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المعلمين او المماليك او الخدم سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه الى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الايدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقا وفسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه وعوله ... بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ...))(٢) .

ثم يستطرد ابن خلدون قائلا :

((وهكذا وقع لكل امة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف ... وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء))(٣) .

وذهب التنوخي في بحثه هذه المسألة الى القول :

((كونه (اى المعلم) عبوسا ليدا من الغلظة العقوبة وسوأس الصبيان معها فيجترئوا عليه ولكنه اذا استعملها عند استصبالهم الادب صارت دلالة على وقوع الادب بهم فلم يأنسوا اليها فيكون فيها اذا استعملها ادبا لهم))(٤) .

---

(١) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٢٢ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٤٠ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٤٠ .

(٤) التنوخي ، الحوال ٥٤ — ب .

٤ — اثر التلميح دون التصريح في التهذيب

لقد فضل المربون الطريقة غير المباشرة في تهذيب الاحداث ، واعني بها استعمال عبارات التلميح دون التصريح في ردعهم عن الاخلاق الشائنة ، فهي اجدى نفعا من الطريقة المباشرة واستعمال الصريح من عبارات الامر والنهي ، وقد استندوا في ذلك على مبدأ وجيه هو ان الصريح من عبارات الامر والنهي قد يثير في الطالب روح الصدى لاوامر المعلم — والاصرار على الخطأ ، والميل الى المشاكسة ، اما التلميح فمن شأنه ان يبعث في اذهان الطالب ميلا الى استنباط ما يخفيه وراءه من معنى ، والغبطة التي ترافق اكتشاف هذا المعنى تدفع الطالب الى العمل على تحقيق ما يضمنه ذلك التلميح ، ليظهر للمعلم ان ما تضمنه تلميحه لم يغرب عن فطنته (١) .

واستشهد بعضهم للدليل على ما تقدم بالآية القرآنية التالية :

((وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه))(٢) .

كما ضرب بعضهم الامثال التالية :

((الانسان حريص على ما منع))(٣) .

((رب تعريض ابلغ من التصريح))(٤) .

وذهب احد معلمي روما في القرن السادس عشر الى تحديد هذه الطريقة ، كما شاهدها عند والده ومعلمه فقال :

((ولقد شاهدنا هذا الامر في المولى الوالد ، حيث ما تابانا في امر بتصريح بل كان يعوض وكنا نتزجر عن ذلك الامر فوق ما يزجر الناس من التصريح))(٥) .

---

(١) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٥٣ — ٥٤ وفاتحة ص ٦٢ . ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٠ البوبكاني ، نهج ص ٨٣ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٣٥ ، ٣٦ .

الغزالي ، احياء ، ج ١ ص ٥٣ ، ٥٤ . الغزي ، الدر ص ١٦٧ — ١٦٨ .

(٣) طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٣٧

(٤) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٥) نفس المصدر والجزء والصفحة .

وقد بين احدهم الاسلوب الذى يمكن اتباعه وفق هذه الطريقة فقال بان على المعلم اذا راى من بعض طلابه ما يكره ، ان لا يصرح له بذلك ، بل يوجه نصحه الى طلابه باجمعهم ويبين لهم ما كره من ذلك العمل والسلوك الناجمة عنه ، ويكون المعلم بذلك قد نصح المذنب من الطلاب وانقذ باقي زملائه ايضا(١) .

---

(١) الشعوى ، مقصد ص ٧ .

٥ — الثواب والعقـــــــاب

لقد كانت وسيلتي الثواب والعقاب من الوسائل الفعالة في بناء الاخلاق عند المربين العرب ، ولم يكن من الضروري ان يأخذ الثواب شكلا ماديا ملموسا ، او ان يأخذ العقاب شكل الضرب المؤلم ، بل يكفي فيهما المدح والذم ، والاستحسان او عدمه ، ليصبحا من وسائل التهذيب الفعالة(١) .

بيد ان المعلم يحتاج الى الكثير من الحذر والتروي في استعمال هذه الطريقة في التهذيب وجاء في بعض المصادر ان صاحب الكرامة والانفة ، يبلغه منه المدح والذم ، عند الاحسان والاساءة ، ما لا تبلغه العقوبة الجسدية او العطية من غيره (٢) .

وقد نصح ابن مسكويه المعلم ان يتغافل عن اول اساءة يرتكبها الطالب ، سيما اذا حاول هذا الاخير ان يخفي ما ارتكبه عن المعلم ، فان عاد الى مثل ذلك فلا بأس من توبيخه سرا ويبين له قداحة الذنب الذي ارتكبه ، وليحذره من العودة الى مثل ذلك(٣) .

وزاد الغزالي على ذلك قائلا بضرورة تهديد الطالب بالفضيحة امام الملأ اذا لم ينته عن فيه(٤) . كما ذهب آخر الى ضرورة طرده اذا لم يؤثر فيه التحذير والزجر ، ذلك لان في بقائه خطرا على بقية رفاقه ان يتنقل سلوكه اليهم بالعدوى(٥) .

واذا امتدح المعلم من احسن من طلابه واثنى عليه امام رفاقه بصورة وبعقل ، فذلك يخلق في نفوس رفاقه اثرا حسنا يدفعهم الى طلب المزيد من المديح ، اما الملامة والمذمة ، فالامر فيهما على عكس ذلك ، لان المذمة العلنية واللوم الصريح يورثان الجرأة على تحدي اوامر المعلم

---

(١) ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٤ . النووي ، آداب ، المقتبس ٧ ص ٢٨٧

(٢) العبدري ، المدخل ج ٣ ص ٣١١ . ابن جماعة ، تذكرة ، ص ٦١ . بريسون ، تدبير ص ١٨٦ .

(٣) ابن مسكويه ، تهذيب ص ٧٩ . العبدري ، المدخل ج ٣ ص ٣١١ .

(٤) الغزالي ، احياء ج ٣ ص ٦٧ . العبدري ، المدخل ج ٣ ص ٣١١ .

(٥) الغزي ، الدر ص ١٦٧ — ١٦٨ .

وعدم الاهتمام الى ما يلتبه من نصائح ، فعلى المعلم ان لا يلجأ الى الصوت من اللوم والعتاب من الطفلة الا في حالات خاصة جدا ، وفيما عدا ذلك يحسن به ان يعمد الى تعنيف الطفل ولومه بعيدا عن اعين الرقباء(١) .

وكذلك الشأن في الاكثار من العتاب ، فو العتاب الصادر عن الغضب الشديد ((لان الاكثار من العتاب يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ، ويسقط وقع الكلام من قلبه))(٢) .

---

(١) ابن سينا ، السياسة ص ١٣ . ابن مسكويه ، تهذيب ص ٧١ .
الغزالي ، احياء ج ١ ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٢) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٦٧ . العبدري ، المدخل ج ٣ ص ٣١١ .

٦ — العقاب الجسدي

لقد سبق ورأينا ما للعلامة والتوبيخ من اثر فعال في تقويم اعوجاج الاحداث ، بيد ان هذه قد تصبح سلاحا عديم الفائدة في يد المعلم ، وعندئذ فقط يجوز للمعلم ان يلجأ الى العقاب الجسدي على ان يراعي في ذلك شروطا خاصة ويأخذ بعين الاعتبار ما يتأثر به الطلاب فيما بينهم من فروق فردية (١) .

وقد اقر الشرع الاسلامي مبدأ العقاب الجسدي ، وسط انواع العقوبات باختلاف الجرائم ، فجزاء القتل القتل ، وجزاء السرقة قطع اليد ، وحد شارب الخمر ٨٠ جلدة ، قال الله تعالى في كتابه العزيز مبينا عقاب الزاني والزانية :

((الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله))(٢)

وبينما نرى بريسون يأن الضرب والدم يبلغان من نفس الطفل وفيه كرامة من الطفل ما لا يبلغه العقاب الجسدي من غيره(٣) ، نراه يعتقد بانه لا بد لمن يعد عن الاناقة وتجرد عن الحياء من التهديد بالعقاب الجسدي وتحقيق الضرب اذا لم ينفع فيه التهديد(٤) .

وهذه فقرة من وصية هارون الرشيد الى مؤدب ابنه الامين :

((وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان اباهما فعليك بالشدة والغلظة))(٥) .

وجاء في رسالة ابن سينا في السياسة :

((فان احتاج الى الاستعانة باليد لم يحجم عنه ولكن اول الضرب قليلا موجعا كما اشار به الحكماء))(٦) .

---

(١) افلاطون ، وصية ص ٥٥ . ابن سينا ، السياسة ص ١٣ .
ابن جماعة ، تذكرة ص ٤١ . المدخل ، ج ١ ص ١٤ ، ٩٥ و ج ٢ ص ١٦٤ .

(٢) سورة النور آية ٢ .

(٣) بريسون ، تعبير ص ١٨٦ .

(٤) نفس المصدر والصفحة . افلاطون ، وصية ص ٥٨ .

(٥) المسعودي ، مروج الذهب ج ٦ (مصر ١٣٠٤ هـ) ص ١٩٤ .

(٦) ابن سينا ، السياسة ص ١٣ .

روى عن لسان لقمان حكيم العرب انه قال :

((ضرب الوالد ولده كالسماد للزرع))(١) .

بيد انه ، لا يحق للمعلم تطبيق العقاب الجسدى الا اذا اخفقت جميع انواع العقوبات الاخرى في تقويم اخلاق الناشئة(٢) . كما انه يشترط في العقاب الجسدى ان يهدف الى ويسر الناشئة واصلاحهم ، وفيما عدا ذلك يمنع المعلم من تطبيقه لانه يصبح نوعا من انواع الظلم والتعسف(٣) . وليذكر المعلم في كل الاحوال بانه ، للناشئة كالطبيب فعليه الا يعمد الى الدواء الا اذا عرف طبيعة الداء .(٤) .

اما تطبيق العقوبات الجسدية على الطفل ، فهو من حق ابويه او اولياءه ، ولا يحق للمعلم ان يطبق عليه اى عقاب جسدى دون استشارتهم ، لان السلطة التي منحت للمعلم في تعليم الطالب لا تستلزم سلطة الضرب ، فولي الطالب هو الذى يجب ان يمنح المعلم بصريح عبارته الحق في تطبيق العقاب الجسدى عليه ، او ان يمنح عنه هذا الحق ، اما سكوت الولي عن ذلك فلا يعتبر اقرارا لهذا الحق ، لان السكوت قد يحتمل الرضاء او عدمه(٥) .

هذا ، ولا يحق للمعلم بحال من الاحوال ان يولي الضرب احدا من الطلاب ، لان الطالب قد يتجاوز الحد ويؤلم المضروب فضلا عن ان ذلك قد يؤدى الى نشر الشقاق والبغضاء بين الطلاب(٦) .

اما آلة العقاب الجسدى فهي العصا او السوط ، ويجب ان تكون دون تلك التي تقام بها حدود الشرع(٧) .

---

(١) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٦٨ .

(٢) القابسي ، احوال ص ٥٥ .

(٣) البيهقي ، تحرير ص ٨٧ — ب ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ — ب .

(٤) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٦٦ .

(٥) البيهقي ، تحرير ص ٨٤ ، ٨٧ .

(٦) القابسي ، احوال ص [redacted] ٥٦ — ب ، ٦٣ — ب .

(٧) العبدري ، المدخل ج ٢ ص ١٦٥ . القابسي ، احوال ص ٨٩ — ٩١ .

ولقد عرض القابسي جسامة العقوبة التي تقع على عاتق المعلم فيما يتعلق بنوع الآلة التي يستعملها للضرب ، فمنع المعلم من الضرب بالعصا أو اللوح وأجاز استعمال ما سماه (الدرة) كما عرض أيضا الى جسامة الجرم الذي يرتكبه المعلم عندما يضرب الطلاب ببعض الآلات غير المشروعة(١) .

أما العبدري فقد منع المعلم من استعمال ما سماه ((بعصا اللوز اليابس والاسواط الغوطية))(٢) ولكي لا يكون العقاب الجسدي شديدا قويا ، أو خفيفا فيضعف أثره ، يجب أن تكون العصا متوسطة الحجم ومعتدلة الرطبة ، كما يجب أن يرفع الضارب ذراعه فقط ليثقل وطأة العصا لا عضده بحيث يرى بياض إبطه(٣) .

وكما نصح المعلم بأن يلوم طلابه على انفراد ، كذلك نصح بأن يكون عقابهم الجسدي على انفراد أيضا . وقد روي عن عبدالملك بن مروان الخليفة الاموي أنه قال لمؤدب أولاده " ((اذا احتجت أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في سر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهونوا عليه))(٤) .

وعلى المعلم أن يتقي ضرب الرأس ، أو الوجه ، أو الأذن ، أو العين ، أو أي محل مقتل من الجسد ، وخير موضع للضرب هو الرجلين فهما أحمل للألم وآمن من الأذى(٥) .

ويجب على الضارب ، اذا احتاج العقاب الى أكثر من ضربة واحدة ، أن يتجنب تركيز ضرباته في محل واحد ، بل عليه أن يوزعها على مختلف أعضاء الجسد الملائمة(٦) ، كما عليه أن يفصل بين الضربة والاخرى بفاصل زمني يسمح بزوال الالم الناتج عن الضربة الاولى .(٧)

---

(١) القابسي ، أحوال ص ٨٩ — ٩١ .

(٢) العبدري ، المدخل ج ٢ ص ١٦٥ .

(٣) القابسي ، أحوال ص ٨٩ . العبدري ، المدخل ج ٢ ص ١٦٥ . البهيتي ، تحرير ص ٩١ .

(٤) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٦٧ .

(٥) القابسي ، أحوال ص ٥٦ ، ٨٩ . البهيتي ، تحرير ص ٩١ ، ٩٢ — ب .

(٦) البهيتي ، تحرير ص ٩١ .

(٧) نفس المصدر والصفحة .

هذا ، وليحذر المعلم كل الحذر من معاقبة طلابه أو ضربهم وهو في حالة الغضب ، فالقصد من الضرب هو ردع الطلب بتأديبه لا الانتقام والتشفي لارضاء قلب المعلم من الغيظ[١] .

وقد أقر الاسلام عظم الغير كغرض للعقاب كما يبدو في الآية التالية :

((الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلده ... وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين))[٢] .

ولذلك ذهب بعض المربين الى القول بانه يحسن بالمعلم ان يؤجل تأديب الطلب اذا ادركه شيء من الغضب حتى يزول ما بنفسه من غيظ وغضب[٣] .

وليذكر المعلم ابدا ان عليه ان يعاقب طلابه كما يعاقب الوالدان اولادهما ، اى يجب ان يشوب هذا العقاب شيء من الرحمة والشفقة والبعد عن الاذى[٤] .

اما من يفقد سيطرته على نفسه من المعلمين ، فيكيل لطلابه الشتائم والسباب ، ويضربهم بقسوة ووحشية ، فهو الى الجاهل اقرب منه الى المعلم ، وهو غليظ القلب ، فظ النفس ، السيء الجانب ما يرتكب بعمله ذلك من اثم محرم[٥] .

وقد روى عن عمر بن عبدالعزيز الخليفة الاموى ، انه امر بضرب احدهم ، فلما هم به قال الخليفة اتركوه وشأنه ، فلما سئل عن السبب اجاب ((وجدت في نفسي عليه شيئا فكرهت ان اضربه وانا غضبان))[٦] .

هذا ، وقد حددت المصادر العقاب الجسدى بما يتراوح بين سوط واحدة وثلاثة سياط ، وذلك بالنسبة لفداحة الذنب[٧] . اما اذا راى المعلم بان العقاب الجسدى يستلزم اكثر من ذلك فله

---

(١) افلاطون ، وصية ص ٥٥ . التلمسي ، أحوال ص ٥٥ — ب ، ٥٦ .

(٢) سورة النور آية ٢ .

(٣) العبدرى ، المدخل ج ٢ ص ١٧٢ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

(٥) نفس المصدر والصفحة . التلمسي ، أحوال ص ٥٥ ، ٨١ .

(٦) العبدرى ، المدخل ج ٢ ص ١٧٢ .

(٧) ابن تغية ، عون ، ج ٢ ص ١٦٧ . التلمسي ، أحوال ص ٥٥ ، ٥٨ ، ١٠
العبدرى ، المدخل ، ج ٢ ص ١٦٥ .

فله ما بين الثلاثة والعشرة سنة ، ويشترط في هذه الحالة ان ينال موافقة ولي الطالب المعاقب ، وان يأخذ بعين الاعتبار حالته الصحية(١) ، وليذكر المعلم انه من النادر جدا ان يتجاوز العقاب الجسدي العشرة سياط(٢) .

اما فيما يتعلق بشدة الضرب ، فيشترط فيه ان يكون لاسعا مؤلما لا مبرحا دميا(٣) .

اما ما يستحق العقاب الجسدي من الذنوب ، فهي في راي العرب اما ذنوب دينية ، كترك الصلاة بغير عذر ، ولا يعاقب الصبي على هذا الذنب الا اذا تعدى سن العاشرة ، او ذنوب اجتماعية ، كالسرقة او السباب والشتم ، او اذى الغير ، او ذنوب مدرسية كالانقطاع المستمر عن المدرسة ، او الكسل وعدم تحضير الدروس ، والاهمال الزائد(٤) .

وقد اختلف العرب فيما يتعلق بالذنوب المدرسية فبعضهم راى بان بعض الذنوب المدرسية لا تستحق عقابا جسديا(٥) . وقد روى عن شيخ الاسلام السبكي ، وهو احد علماء القرن الرابع عشر الهلالي ، انه نهى مؤدي اولاده عن ضربهم بسبب عدم حفظهم لدروسهم(٦) .

---

(١) القابسي ، احوال ص ٥٦ ، ٥٨ . الصيدي ، المدخل ج ٢ ص ١٦٥ .

(٢) نفس المصادر والصفحات .

(٣) القابسي ، احوال ص ٥٦ . البيهقي ، تحرير ص ١٠ ، ١٢ — ب .

(٤) الصيدي ، المدخل ج ٢ ص ١٦٥ . البيهقي ، تحرير ص ٨٤ — ٨٧ .

(٥) القابسي ، احوال ص ٥٥ ، ٥٥ — ب . البيهقي ، تحرير ص ٧٨ ، ٨٤ — ٨٦ ، ٨٧ — ب

(٦) البيهقي ، تحرير ص ٨٦ .

الفصل السابع

طرق التعليم

يمكننا حصر طرق التعليم في عناوين ثلاث :

١ — اسلوب التدريس .

٢ — مادة التدريس .

٣ — الطلاب .

١ — اسلوب التدريس

أ — المحاضرة .

كانت المحاضرة تحتل المقام الاول من اسلوب التدريس عند العرب ، فكان المعلم يقرأ فقرة من الكتاب ثم يتناولها بالشرح والتفسير ، معلقا عليها بين حين وآخر ، بينما كانت وظيفة الطالب تنحصر في الانتباه لما يقوله المعلم ، واذا لم تتوفر لدى الطلاب نسخ اخرى من الكتاب المدرس ، كان عليهم ان يكتبوا كلما يلقيه المعلم من قراءة وشرح وتعليق ، اما اذا توفرت لديهم نسخ اخرى عنه ، فان مهمتهم تصبح محصورة في نقل ما يلقيه المعلم من تعليق فقط (١) .

ولعل هذا هو السبب في ان بعض المربين فرضوا على المعلم ان يكون حسن العبارة واضح الكلام فصيح اللسان ، سهل الالقاء ، وان يكون قادرا على ايضاح المعاني بأيسر السبل معتمدا في ذلك على مهارته في عرض مادة الدرس بطرق منطقية صحيحة ، متقدما ما ينبغي تقديمه ومؤخرا ما ينبغي تأخيره من نتائج (٢) .

اما كتابة ما يلقيه المعلم في محاضرته من الحقائق ، وما يعلق على الكتب من شروح ، فقد مالت هذه البدعة استحسان اكثر المربين العرب ، فقد نصح هؤلاء الطالب بان يلجأ الى نقل

---

(١) Pedersen , ((Masdjid)) E . I .

انظر البخاري ، العلم ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٢ .

(٢) ابن جماعة ، تذكرة ص ٣٨ ، ٥١ ، ٥٢ . النووي ، آداب العالم ، المقدمة ٧ ص ٢٨٧ الحاطي ، هدية ، المقتطف ٥٨ ص ٢٦٢ . الغزي ، الدر ص ١٧١ ، ١٧٢

كل ما يسمع او يرى من فوائد ، واستشهدوا باحاديث الرسول بجواز ذلك(١) .

((عن ابي هريرة قال كان رجل من الانصار يجلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اسمع منك الحديث فيعجبني ولا احفظه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعن بيمينك وأومأ بيده للخط))(٢) .

وقد روى عن عمر بن الخطاب انه قال :

((قيدوا العلم ، قلت وما تقييده قال كتابة))(٣) .

ولذلك نصح الطالب بان يزود نفسه بمحبرة ودفتر يحملها دائما ليتسنى له كتابة كل ما من شانه ان يكون ذا فائدة له(٤) .

ونظرا للاهمية التي نالتها الكتابة في اسلوب التدريس ، ذهب بعض المربين الى تحديدها بشروط نذكر منها :

١ــ لا يكفي في الكتابة ان تبقى محفوظة في بطون الكتب لان((العلم ما ثبت في صحائف الخواطر لا ما اودع في صناديق الدفاتر))(٥) . ولهذا يتحتم على الطالب الا يعتمد كل الاعتماد على ما يكتب ، لان الغرض من كتابة الحقائق هو الرجوع اليها حين عوض النسيان لا الاعتماد الكلي عليها(٦) .

٢ــ والشرط الثاني لكتابة الحقائق هو فهمها ، اذ لا يتوجب على المتعلم الا يكتب ما لم يفهم(٧)

٣ــ واخيرا يجب ان تكون الكتابة واضحة ، وقد روى عن الامام ابو حنيفة ما يلي :

((راى ابو حنيفة رحمه الله تعالى كاتبا يقرمط(يدقق الكتابة ويصغرها) في الكتابة فقال لم تقرمط خطك ؟ ان عشت تندم وان مت تشتم))(٨) .

---

(١) البخاري ، العلم ص ٣٧ . الدارمي ، المقدمة ٤٣

(٢) الترمذي ، العلم ١٢ .

(٣) الدارمي ، المقدمة ٤٣ .

(٤) الزرنوجي ، تعليم ص ٦٠ ، ٦٥ . طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٣٢ .

(٥) طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٣٢ .

(٦) نفس المصدر والصفحة .

(٧) الزرنوجي ، تعليم ص ٢٢ .

(٨) نفس المصدر ، ص ٢٤ .

وقد بلغ من اهتمام بعض المربين في الكتاتيب انهم اقاموها في منزلة واحدة من الاهمية مع حفظ القرآن(١) . قال ابن الطقطقي :

((ويبلغ من اهتمامهم ان الرجل منهم كان يفتح له الباب من العلم ، او الكلمة من الصواب ، وهو في البادية غير المأهول ، فيكتبه على الصخور صادرة للاجل وكراهية منه ان يسقط ذلك عمن بعده))(٢) .

ب — الاعادة والتكرار .

لقد اقام المربون العرب من التكرار حجرا اساسيا في اسلوب التدريس ، وذلك لانهم ادركوا ما لتعدد التمارين وتكرار القراءة من قيمة كبيرة في حفظ المعلومات .

وكان للتكرار عندهم اشكاله المختلفة ، ولولى هذه الاشكال تكرار الشرح ، فقد نصح المعلم ان يكرر ما يشكل فهمه على الطلاب من المعاني والالفاظ اثناء القائه الدرس ، وذلك لتقريبها الى اذهان الطلاب وتفهيمهم(٣) . وقد روى عن النبي انه اذا تكلم بكلمة اعادها ثلاثا(٤) .

وقد نصح المعلم ايضا بان يكرر ذكر الفقرات الهامة من الدروس السابقة ، فيسأل الطلاب عنها اثناء مذاكرتهم ، وذلك قبل البدء بالدرس الجديد(٥) .

والشكل العادي للتكرار هو تكرار الحفظ ، فقد نصح الطالب بأن يتناول درسه بالاعادة والتكرار حتى يرسخ في ذهنه(٦) ، كما نصح بان يرجع الى دروسه السابقة بالمراجعة يوميا ، قال الزرنوجي :

((وينبغي للطالب العلم ان يكرر سبق الامس خمس مرات ، وسبق اليوم الذي قبل الامس اربع مرات ، والسبق الذي قبله ثلاث مرات ، والذي قبله اثنين ، والذي قبله مرة واحدة فهذا ادعى الى الحفظ))(٧)

---

(١) العبدري ، المدخل ج ٢ ص ١٦٠ .

(٢) ابن الطقطقي ، الادب الكبير ص ٢ .

(٣) ابن جماعة ، تذكرة ص ٣١ ، ٥٤ . العالمي ، هبة ، المقتطف ٥٨ ص ٢٦٢ .

(٤) البخاري ، العلم : ٢٨ .

(٥) النووي ، الادب ، المقتبس ٧ ص ٢٨٧ والتبيان ص ١٨٨ . العالمي ، هبة ، المقتطف ٥٨ — ٢٦١

(٦) الزرنوجي ، تعليم ص ٤١ . ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٤ ، ١٥٤ . النووي ، الادب ، المقتبس ٧ ص ٢٩١

(٧) الزرنوجي ، تعليم ص ٥١ .

اما المحادثة والمحاضرة فقد اعتبرهما العرب كشكل آخر من اشكال التكرار[١] ، وهما في رأى بعض المربين اكثر فائدة من مجرد التكرار ، لانهما على حد قول بعضهم "

((فيهما تكرار وزيادة))[٢] .

وقد قيل "

((مطارحة ساعة خير من تكرار شهر))[٣] .

واليك ما قاله ابن سينا في المذاكرة "

((... وذلك لان المذاكرة هذا من انها تثبت المعلومات في الذهن ، فهي تفيد انشراح العقل وتحل معقد الفهم ، ولان كل واحد من المذاكرين انما يتحدث بأعذب ما رأى وأغرب ما سمع ، فيكون غرابة الحديث سببا للتعجب منه والتعجب منه سببا لمحادثته وهذا داعيا الى التحدث به))[٤] .

اما اذا لم يجد الطالب من يذاكره فعليه ان يذاكر نفسه "

((فان تكرار المعنى على القلب كتكرار اللفظ على اللسان سواء بسواء))[٥] .

وقد ذهب بعضهم الى القول بان الامام ابو حنيفة قد حفظ وتعلم لكثرة ما قام به من مذاكرة ومحاضرة وذلك في حانوته حيث كان يزاول[٦] .

ونظرا للاهمية التي نالتها المحاضرة عند المربين العرب ، فقد وضعوا لها شروطا لا تصح بدونها واليك ما قالوه في هذا الباب "

---

(١) ابن سينا ، السياسة ص ١٣ ، ١٤ . القصري ، جامع ص ٥٢ ، ٥٥ ، ٦٧ .
الزرنوجي ، تعليم ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ . النووي ، آداب العالمين ٧ ص ٢٩١ .
ابن جماعة ، تذكرة ص ٤١ .

(٢) الزرنوجي ، تعليم ص ٤٤ . ابن الاكفاني ص ٨ .

(٣) الزرنوجي ، تعليم ص ٤٤ . ابن جماعة ، تذكرة ص ٤١ . منهاج المتعلم ص ١٤ — ب

(٤) ابن سينا ، السياسة ص ١٣ ، ١٤ .

(٥) ابن جماعة ، تذكرة ص ١٤٥ .

(٦) منهاج المتعلم ص ١٤ .

١ — يشترط في المناظرة ان يكون رائدها الحقيقة ، لا الحرص على افحام الخصم والتعنت بالرأي . (١)

٢ — ويشترط فيها ان تجرى في جو من التأني والحب ، بعيدة عن الغضب والمشاحنة (٢) .

٣ — ان يكون موضوع المناظرة موضوعا مهما ومفيدا لا تافها ، كما يجب ان تتناول مسائل واقعية او ممكنة الحدوث لا مسائل خيالية (٣) .

٤ — يحسن بالمناظرة ان تجرى بعيدة عن المحافل ، لان حدوثها امام الملأ قد يحرك في المناظرين دوافع الرياء والحرص على عدم التراجع عن الرأي وان كان باطلا (٤) .

٥ — يجب في المناظرة ان لا تنقلب من محاولة لاظهار الحقيقة الى تنافس ، وحب للظهور والفخار (٥) . كما يجب فيها ان لا تنقلب الى جدل ، وشتم وسباب ، او الاخذ بالايدي والعوارض (٦) .

٦ — واخيرا يجب ان لا ينتقل المناظرون من مسألة الى اخرى دون ان تتم المناظرة في المسألة الاولى ((فقد كان الشافعي اذا ناظره انسان في مسألة قعد الى غيرها يقول : تفرغ من هذه المسألة ثم تصير الى ما تريد .)) (٧) .

هذا ، وقد نصح المربون بان تجود الاوقات للمذاكرة ، هي تلك التي تلي الدرس مباشرة وذلك قبل ان يتطرق النسيان الى ما اقتبس الطلاب من معلومات اثناء شرح المعلم للدرس ، وهكذا لم يغب عن ذهن هؤلاء ما لتحصيل ((الجدة والحداثة)) من اهمية في الحفظ ، كما ان اكثر المربين اعتبر هذه الوسيلة خير علاج ضد النسيان (٨) .

---

(١) الغزالي ، فاتحة ص ٤١ . الزرنوجي ، تعليم ص ٤٤ . ابن جماعة ، تذكرة ص ٤١ .

(٢) نفس المصادر والصفحات .

(٣) الغزالي ، فاتحة ص ٤١ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٤١ — ٥١ .

(٥) نفس المصدر ، والصفحات .

(٦) نفس المصدر ، ص ٥٤ .

(٧) ابن جماعة ، تذكرة ص ٤٠ .

(٨) الزرنوجي ، تعليم ، ص ٤٣ . ابن جماعة ، تذكرة ص ١٤٣ .
الغزي ، الدر ص ٢٢٤ — ٢٢٥ .

وهناك طريقة اخرى اعتبرت شكلا آخر من اشكال التكرار ، واشتهت فائدتها في صناعة التعليم وهي ان يعهد الطلاب الى تعليم بعضهم بعضا ، وقد قيل :

((علم علمك من يجهل ، وتعلم ممن يعلم ، فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت ، وحفظت ما علمت))(١) .

وقد تساءل العربون ، في هذا الصدد ، عما اذا كانت حقوق المعلم تخوله ان ينصب احد الطلاب ممن هو بوز اقرانه معرفة ، لتدريس بقية رفاقه ، او ان يتيه عليهم عريفا ، وكان جوابهم على ذلك بانه يحق للمعلم ذلك شريطة ان تكون غايته افادة الطالب بترسيخ ما حفظ من معلومات ، وبذلك تصبح هذه الطريقة اسلوبا من اساليب التدريس(٢) .

ومما هو جدير بالذكر ما اتاه العربون العرب من صفات للتكرار الحسن ، فالتكرار الذي نوهوا به واستحسنوه هو ذلك النوع الذي يرتكز على اسس متينة من الفهم والادراك السليم ، اما التكرار البعيد عن الفهم ، او حفظ اللفظ دون المعنى ، فقد نالا قسطا وافيا من الذمة والانتقاص(٣) . وقد ذهب بعضهم الى القول بان العامل المهم والاساسي في التعليم المفيد هو الفهم الذي هو على حد تعبيرهم نتيجة للتأمل والتفكير ، فاذا تهاون الطالب بالتفكير ولم يجتهد في فهم ما يقرأ او يسمع ، فانه قد يعتاد على القراءة بدون فهم فتذهب جهوده في الاستفادة ادراج الرياح(٤) .

---

(١) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٢٣ . الغزالي ، احياء ج ١ ص ١٠ .
(٢) التلمساني ، احوال ص ٦٣ ، ٦٣ — ب . البهيشي ، تحرير ٨١ — ب ، ٨٢ .
(٣) الزرنوجي ، تعليم ص ٤٢ ، ٤٤ . ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٤ .
(٤) المصادر والصفحات نفسها .

ج — السؤال

قال احد المستشرقين ((هناك خاصتان مهمتان لاسلوب العرب في التعليم لولاهما التعاون بين المعلمين ، وتاتيهما التعليم عن طريق السؤال))(١) .

ولبيان ما لطريقة السؤال في التعليم من اهمية ، عمد العربي الى الاستشهاد ببعض آيات القرآن الكريم وبعض احاديث النبي ، كما استشهدوا بأقوال بعض المشاهير من الائمة والعلماء فقد امر الله تعالى بالسؤال في الاية التالية :

((فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون))(٢) .

كما امر بحسن الجواب في الآية التالية :

((اما السائل فلا تنهر))(٣) .

وقد روى عن النبي انه كثيرا ما جعل من السؤال مدخلا لشرح مسألة من المسائل(٤) ، كما يبدو في القصة التالية :

((... عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم حدثوني ما هي ؟ قال فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبدالله فوقع في نفسي انها النخلة ، ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال هي النخلة))(٥) .

وروى عنه ايضا الاحاديث التالية :

((شفاء العي السؤال))(٦) .

---

(١) Pedersen , ((Masdjid)) E . I .

(٢) سورة النحل آية ٤٣ . انظر الغزالي ، احياء ج ١ ص ٤٧ .

(٣) سورة الضحى آية ١٠ . انظر منهاج المتعلم ص ٨٨ .

(٤) البخاري ، العلم : ٥ .

(٥) البخاري ، العلم : ٥ .
المصري ، جامع ص ٥٩ .

(٦) ابي داود ، طهارة حد : ١٢٥ .
المصري ، جامع ص ٤٣ .

((لولا السائل لذهب العلم)) (١) .

((العلم خزائن مفاتيحها السؤال الا فاسألوا فانه يؤجر فيه اربعة : السائل والعالم والمستمع والمحب لهم)) (٢) .

وسئل بعض العلماء مرة ((بم ادركت ما ادركت من العلم ؟ فقال بلسان سؤول وقلب عقول ، وكنت اذا لقيت عالما اخذت منه واعطيته)) (٣) ..

وقال بعضهم ((خير خصال المرء السؤال)) (٤) .

وقال آخر ((من استتر من الطلب بالحياء ليس للجهل سواه)) (٥) .

وقد روى عن عائشة انها قالت :

((رحم الله نساء الانصار لم يمنعهن الحياء ان يسألن عن امر دينهن)) (٦)

هذا ، وقد نصح بعض العلماء بان يبدأ المعلم درسه بالسؤال وذلك لجذب انتباه الطلاب (٧) . كما نصح آخرون بان ينهي درسه بالسؤال ايضا وذلك للتأكد من فهم الطلاب لما شرح لهم من معلومات ، ولاجل اعادة ما اشكل عليهم فهمه منها (٨) .

---

(١) الدارمي ، المقدمة : ١٨ .

(٢) لم نجده في الكتب الست .

الغزالي ، احياء ج ١ ص ٨ . النمري ، جامع ص ٤٣ .

(٣) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١١٨ . النمري ، جامع ص ٤٤ .

الزرنوجي ، تعليم ص ٤٦ .

(٤) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٢٣ .

(٥) نفس المصدر والصفحة . النووي ، آداب ، القابسي ٧ ص ٢١٠ ، ٢١٤ .

(٦) النمري ، جامع ص ٤٣ .

(٧) الخطابي ، آداب ص ١٣ — ب .

(٨) ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٣ .

الغزي ، الدر ص ١٧٥ .

وقد حذر الطالب من ان يستحي من السؤال ، كما حذر منية التسليم الاعمى والاعتراف الكاذب بفهم ما لم يفهم ، فمن واجب الطالب من هذه الناحية ان لا يعترف بقوله ((نعم فهمت)) ما لم يتأكد من ذلك جيدا[١] . وقد قيل ((

((ليسعة لا يأنف الشريف منهن وان كان اميرا ، قيامه من مجلسه لابيه ، وخدمته للعالم ليتعلم منه ، والسؤال عما لا يفهم ، وخدمته للضيف))[٢] .

بيد ان للسؤال شروطا يجب على الطالب مراعاتها والبك بعضها "

١ — على الطالب ان يتجنب الاسئلة التي لم يبلغ المرتبة العقلية اللازمة لفهمها ، او تلك التي لا علاقة لها بالدرس ، وليعلم بان المعلم اعرف بما هو اهل له فعليه التقيد بما يشير عليه به[٣] .

٢ — عليه ان يتجنب كثرة الاسئلة او تلك التي يعرف جوابها او يستطيع فهمها من تلقاء نفسه وذلك حفظا للوقت من الضياع ، وتجنبا لازعاج المعلم[٤] .

٣ — عليه ان يتجنب الالحاح في سؤاله ، وليكن حسن السؤال مهذب اللهجة في الثناء[٥] .

---

(١) ابن جماعة ، تذكرة ص ١٥٧ — ١٥٨ . النووي ، آداب ، المقنص ٧ ص ٢١٠ الغزي ، الدر ص ٢٠٨ — ٢١٠ .

وقد بين ابن جماعة الدوافع التي تحصل للطالب عندما يكون صادقا في اعترافه بفهم ما يشرحه المعلم بانها دوافع عاجلة واخرى آجلة ، فالدوافع العاجلة هي فهم الدرس فهما صحيحا ، وابتعاده عن الكذب ، ورفع المعلم باعتناقه في دروسه ورغبته في العلم ، اما الدوافع الآجلة فهي اعتماده عليه في المسائل ، وتبني الرأي الصواب(ابن جماعة ، تذكرة ص ١٥٧ — ١٥٨ .) .

(٢) ابن جماعة ، تذكرة ص ١١٠ . الغزي ، الدر ص ٢١١ .

(٣) الغزالي ، احياء ، ج ١ ص ٤٧ . النووي ، آداب ، المقنص ٧ ص ٢١٠ .
ابن جماعة ، تذكرة ص ١٥٧ .

(٤) الغزالي ، احياء ، ج ١ ص ٤٧ . ابن جماعة ، تذكرة ص ١٠٦ . الغزي ، الدر ص ٢٠٨

(٥) النووي ، آداب ، المقنص ٧ ص ٢١٠ . الغزالي ، احياء ، ج ١ ص ٤٧ .
البوشاني ، تبيه ص ٦٤ .

٤ — عليه ان لا يقاطع حديث المعلم بأسئلته بل ينتظر فراغ المعلم من حديثه ، وعندئذ عليه ان يوافي استعداد المعلم لقبول سؤاله ، فان لم يصادف من المعلم رغبة في الاجابة فليمتنع عن القاء سؤاله (١) .

٥ — ان الاسئلة الهامة هي تلك التي يكون رائدها الرغبة في معرفة الحقيقة ، اما الاسئلة التي يراد منها احراج المعلم او اظهار المعرفة فلا تستحق جوابا (٢) .

٦ — على الطالب ان لا يشغل ذهنه بفكره ليس لها علاقة بموضوع الدرس ، وان لا يتساهل في اصغائه وانتباهه للمعلم ، وذلك لئلا يعود على المعلم بالسؤال قصد اعادة ما سبق وذكره من معلومات ، ولا يحق للطالب القاء اسئلة من هذا النوع الا اذا لم يفهم قول المعلم رغم اصغائه التام وانتباهه الكلي (٣) .

٧ — على الطالب ، اذا رأى في جواب المعلم بعض اوجه الخطأ ان لا يظهر علامات الاستنكار ، وعليه بأن يشير بعينه ورأسه او بنظر الى رفاقه مستشيرا مثلا ، بل عليه ان يتقبل ذلك ببشر ، وعليه ليعلم بان المعلم غير معصوم عن الخطأ وان العصمة في البشر للانبياء وحدهم (٤) .

٨ — ولخيرا على الطالب ان يفكر بما يود ان يسأل ، ويهذب ما يريد ان يقول ، قبل البدء بالقاء سؤاله ، وذلك ليأمن هفوة القول ، وقائلة الانفعال (٥) .

والى جانب هذه الشروط وضع المربون شروطا اخرى طلبوا من المعلم التقيد بها وهاك بعضها :

١ — على المعلم ان يشجع طلابه على القاء الاسئلة ، وان لا يظن بان وظيفة الطالب تنحصر في الاصغاء لما يقوله فقط (٦) .

---

(١) النووي ، آداب ، المقنع ٧ ص ٢٩٠ ، الغزي ، الدر ص ٢٠١ ، العثماني ، آداب ص ٢١ .

(٢) النووي ، آداب ، المقنع ٧ ص ٢١٢ ، الغزي ، الدر ص ١٦٠ ، منهاج التعلم ص ٨٩ ، البوكاني ، نهج ص ٦٥ .

(٣) ابن جماعة ، تذكرة ص ١٠٦ ، الغزي ، الدر ص ٢٠٨ — ٢١٠ .

(٤) ابن جماعة ، تذكرة ص ١٠١ ، الغزي ، الدر ص ٢٠٦ .

(٥) العلوي ، الوصيد ص ٤٢ .

(٦) ابن جماعة ، تذكرة ص ٤٢ ، الغزي ، الدر ص ١٦ .

٢ــ وهذا ما يطلب عليه ان لا يشعر بالغضب تجاه من يكثر من الاسئلة من طلابه ، فالغضب ليس من شيم العلماء(١) .

٣ــ ان مهارة المعلم في القاء الدرس تتجلى في توقفه عن القائه بين حين وآخر ليعطي الفرصة لمن يود القاء بعض الاسئلة من الطلاب(٢) .

٤ــ اذا صدف وعجز الطالب عن صوغ ما يود سؤاله بعبارة واضحة ، او اعياه النطق لبيانه ، فمن واجب المعلم ان يبادر الى اسعافه بأن يعبر عن مراده ، او يساعده في توضيح ما يقصده من افكار(٣) .

٥ــ على المعلم ان لا يقاطع سائلا ، وان لا يجيب على سؤال ما لم ينته السائل ، كما عليه ان لا يسمح لاحد من طلابه ان يتقدم على غير مقابل(٤) .

٦ــ يحسن بالمعلم ان لا يسأل الطالب عما اذا فهم الشرح ، الا اذا تأكد جيدا من ان جوابه بالايجاب يدل حقيقة على انه صادق فيما يقول ، لان بعض الطلاب يدافع من الخجل ، يمتنعون عن الاعتراف بعدم فهمهم فيعمدون الى الكذب ، واذا صدف وسأل المعلم بعض طلابه مثل هذا السؤال فعليه ان لا يسأله اسألة تتعلق بالشرح لئلا يظهر الطالب امام زملائه بخلاف ما اعترف به(٥) .

---

(١) العبدري ، المدخل ، ج ١ ص ٩٦ . البوبكاني ، نهج ص ٨٣ .

(٢) ابن جماعة ، تذكرة ص ٣٩ . الغزي ، الدر ص ١٨٢ . العاملي ، هبة ، المختلف ٥٨ ص ٢٦٢ .

(٣) ابن جماعة ، تذكرة ص ٤٢ . الغزي ، الدر ص ١٨٥ . العاملي ، هبة ، المختلف ٥٨ ص ٢٦٣ .

(٤) العبدري ، المدخل ج ١ ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٥) العبدري ، المدخل ج ١ ص ٩٨ ، ٩٩ . ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٣ ــ ٥٤ . وقد بين ابن جماعة الاسباب الداعية الى ذلك بقوله ((ان الطالب ربما خجل من قول كلمة لم افهم ، اما لدفع كلفة الاعادة على المعلم ، او لضيق الوقت ، او حياء الحاضرين او كيلا يتأخر قراءتهم بسببه)) (ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٣ ــ ٥٤) .

٧ — يجب أن لا يتعدى جواب المعلم مستوى السائل العقلي ،(حكي عن ابن حنبل رحمه الله انه قيل له يسألك السائل عن مسألة فتجيبه ، ثم يسألك آخر عن تلك المسألة فتجيبه بجواب آخر فقال على قدر السائل يكون الجواب))(١) .

هذا ،وقد وقف المحدثون من قيمة السؤال في التربية موقفا مخالفا لموقف اهل السنة فقد كرهوا من المريد ان يوجه الى شيخه اسئلة مهما يكن نوعها او ضرورتها ، واعتبر بعضهم ذلك اساءة للأدب وانتقاصا من احترام الشيخ (٢) .

اما اذا كان ولا بد من السؤال فعلى المريد ان يضع سؤاله في قالب لائق يعرض فكرة عنه الى القاء سؤال ، والشيخ حر في ان يجيب على ذلك او يسكت دونه (٣) .

وذهب بعضهم الى ابعد من ذلك فمنع المريد من عرض فكرته ونصحه ان يلجئ الى الله عساه يلهم الشيخ الاجابة على ما يود الاستشارة عنه(٤) .

د — عوامل اخرى ضرورية في اسلوب التدريس .

الى جانب ما سبق وذكرنا من نقاط بارزة في اسلوب التعليم عند العرب ، نجد انهم اهتموا ببعض العوامل التربوية التي من شأنها تسهيل عملية التعليم ، وذلك لما لها من علاقة وثيقة في طبع الطالب العقلية او العاطفية ، واليك ما نصحوا المعلم به في هذا الشأن .

١ — ان اثارة اهتمام الطالب ورغبته ، كانت ولا تزال ، من انجح وسائل التعليم واهمها ، ولهذا رأينا المربين العرب ينصحون المعلم بوجوب ترغيب طلابه في تحصيل العلوم بشتى الطرق والوسائل ، كأن يذكرهم دائما بفضائل العلم والعلماء ، ويبين لهم ما ينتظرهم من مستقبل باسم باهر ، اذا هم اهتموا بتحصيل العلوم(٥) .

---

(١) السهروردي ، آداب ص ٢٠ — ب .

(٢) ابن عربي ، آداب ص ٧ — ١ ، ٨ .

(٣) ابن عربي ، آداب ص ٧ — ١ . الغمري ، مقصد ص ١١ — ب ، ١٢ .

(٤) ابن عربي ، آداب ص ٨ — ١ .

(٥) الغزالي ، نصيحة ص ٦١ . الدوري ، آداب المتعلمين ٧ ص ٢٨٦ .
ابن جماعة ، تذكرة ص ٤٧ — ٤٨ .

قال الغزالي ((وخلق الله حب الرياسة ليكون سببا لاحياء العلوم فلولا حب الرياسة لاندرست العلوم))(١) .

٢— لم يفت العربون العرب ما لمسألة تركيز انتباه الطالب واهتمامه في ناحية واحدة ، من مكانة واهمية في اسلوب التعليم ، فحذروا من الانتقال الفاجئ من علم الى علم ومن كتاب الى آخر ، لان ذلك في رأيهم مدعاة لتشتيت الفكر وعجز الفهم ، وبالتالي الى كراهية العلم وهجره (٢) . قال ابن خلدون :

((ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يحيط به من اوله الى آخره ويحصل اغراضه ويستولي منه على ملكة يبها يقتدر في غيره ، لان المتعلم اذا حصل ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي ، واذا خلط عليه عجز عن الفهم))(٣) .

وهذا ينطبق ، كما قال الورنوجي ، على المعلمين والمدارس كما ينطبق على الكتب والعلوم ، ولذا كان لزاما على الطالب ان يقتصر على الاخذ من معلم واحد ، وان يتجنب الانتقال المتكرر بين المدارس المتنوعة ، ذلك لان هذا الانتقال قد يشوش عليه فكره ، ويضيع عليه الفائدة المتوخاة من التعليم(٤) .

٣— يرى ابن خلدون ان الفصل بين دروس العلم الواحد بفترة طويلة من الزمن هو سبب لعدم التمكن من هذا العلم ، لان هذا الفصل يسبب عدم ترابط اجزاء ذلك العلم بالفكر ، وبالتالي يؤدي الى نسيان اكثر اجزائه ، اما اذا تقاربت هذه الفترات الزمنية ((كانت الملكة ايسر حصولا واحكم ارتباطا واثبت صبغة لان الملكات انما تحصل بتتابع الفعل وتكراره))(٥) .

---

(١) الغزالي ، فاتحة ص ٦١ .

(٢) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٦٧ . التنيسي ، اسوال ص ٥٩ .
الورنوجي ، تعليم ص ١٧ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٣٤ .

(٤) الورنوجي ، تعليم ص ١٧ .

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٣٤ .

٤ — لقد اتفق المعنيون على افضلية الاسلوب الفردي على الاسلوب الجماعي في القراءة(١)
فقد ذهب القابسي الى ان ((اجتماعهم(اي الطلاب) في القراءة بحضرته يخفي عنه
القوي الحفظ من الضعيف))(٢) .
كما ذهب العبدري الى تحبيذ الاسلوب الفردي في القراءة ، خوفا من خطر الاسلوب
الجماعي فيها ، الا وهو بقاء المخطيء من الطلاب على خطئه (٣) . اما اذا خاف
المعلم من بقاء بعض طلبته بدون قراءة ، وذلك لعدم استطاعته تطبيق النظام الفردي
في القراءة اما لكثرة الطلاب او لضيق الوقت ، فيجوز له عندئذ تطبيق الاسلوب الجماعي(٤).
٥ — لقد نصح المعلم ان يلجأ في توضيح العويص من المسائل وشرح المعقد من الدروس الى
عدة اساليب اهمها :
اولا — توضيح المسائل الصعبة بالامثلة(٥) .
ثانيا — اللجوء الى اسلوب المقارنة ، فيقارن المعلم المسائل الصعبة بما يشابهها وما
يخالفها من المسائل التي يفهمها الطلاب ، مع بيان وجوه الشبه والاختلاف(٦)
ثالثا — الحث على تصوير هذه المسائل وتمثيلها امام من لم يتأهل لفهمها من الطلاب(٧) .
واخيرا ، اللجوء الى الامثلة الحسية في شرح هذه المسائل وخاصة امام المبتدئين من
الطلاب(٨) .
٦ — تتفاوت اوقات الدراسة واماكنها من حيث الفهم والاثر فان افضل اوقات الدراسة هي تلك
التي تسبق الطعام ولا تعقبه مباشرة ، كما ان اجود اوقات الحفظ هي ساعات الليل ،

---

(١) العبدري ، المدخل ج ٢ ص ١٦٦ . القابسي ، احوال ص ٦١ — ب .
(٢) القابسي ، احوال ص ٦١ — ب .
(٣) العبدري ، المدخل ج ٢ ص ١٦٦ .
(٤) العبدري ، المدخل ج ١ ص ٧٧ — ٧٨ .
(٥) ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٢ . الغزي ، الدر ص ١٧١ .
(٦) ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٢ .
(٧) نفس المصدر والصفحة .
(٨) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٣٤ .

وذلك لهدوء الحركة وانعدام الضوضاء ، أما أفضل الأماكن فهي الغرف الهادئة البعيدة عن الضوضاء والمناظر التي من شأنها تحويل انتباه الطلاب عن الدرس (١) .

---

(١) الزنوجي ، تعليم ص ٢٦ . النووي ، آداب المتعلم ٧ ص ٢١٠ .
ابن جماعة ، تذكرة ص ٧٣ ، ١٤٤ .

٢ — مادة التدريس

أ — انتقاء المادة الدراسية :

لقد ادرك المربون العرب ان نجاح التدريس لا يتوقف على حسن اسلوبه فقط بل على اتقان مادته ايضا ، لهذا بحثوا مسألة انتقاء المواد الدراسية الى جانب بحثهم مسألة اسلوب التدريس ، واليك ما نصحوا به المعلم فيما يتعلق بانتقاء المادة الدراسية وترتيبها :

١ — السير في الدرس من البسيط الى المركب : لقد اجمع اكثر المربين على ان يذهب المعلم في اختياره مادة الدرس من البسيط الى المركب ، وعلى الرغم من انهم اختلفوا في تفسير هذا المبدأ فتناول كل منهم ناحية خاصة به ، فقد اتفقوا على الاساس والجوهر . قال بعضهم على المعلم ان يذهب في تدريسه من الاسهل فيها الى الاصعب فيها (٢) . ونصح آخرون بان يبدأ المعلم في تدريسه بالجلي البسيط — وينتهي الى ما هو اكثر تدقيقا وتعمقا ، فمن شان التدقيق اذا لم يتأهل له الطالب ان يشوش ذهنه ويفسد عليه فهمه (٣) . وذهبت فئة ثالثة الى القول بان يكون المعلم حريصا على تقريب الدرس الى اذهان الطلاب وافهامهم فيعطي كلا منهم ما يليق بفهمه ((فلا يكثر على من لا يحتمل الاكثار ، ولا يبسط لمن يحتمل الزيادة))(٤) وقال آخرون بوجوب البدء بالكتب السهلة القريبة الى اذهان الصغار من الطلاب ، وبعد ثم الانتقال فيها الى كتب اكثر صعوبة (٥) . اما الغزالي فقد نصح المعلم بان يسير بالطالب من المعارف والعلوم السهلة الى اخرى اشد صعوبة وتدقيقا ، لأن المعارف على درجات مختلفة من الصعوبة ، كما ان بعضها طريقا لفهم البعض الآخر (٦) .

---

(١) طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٤٧ . منهاج المتعلم ص ٨٦ — ب .
(٢) النووي ، آداب ، المقنص ٧ ص ٢٨٧ . طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٤٧ . ابن جماعة ، ص ٥١
(٣) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٥٥ . الغزي ، الدر ص ١٧٠ . النووي ، آداب المقنص ٧ ص ٢٨٦
(٤) النووي ، التبيان ص ١٨٦ . الغزي ، الدر ص ١٧١ . البوكاني ، منهج ص ٨٤ — ب
(٥) الزرنوجي ، تعليم ص ٤٢ . ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٥ ، ٥٦ .
الغزي ، الدر ص ١٧٧ .
(٦) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٤٩ ، ٥٤ .

اما المصنفون من المعلمين فقد كان الحاحهم على هذا المبدأ اقوى واشد ، لما له من اثر بليغ في مجرى التربية الصوفية ، فالشيخ الذي يلقي امام المريدين ما لم تتأهل له افهامهم من الحقائق الربانية والاسرار الالهية ، يكون كمن يحاول فك قيود الشرع عنهم ، ودفعهم الى الدخول في ابواب الالحاد والزندقة ، لان عقولهم القاصرة قد تعجز عن تطبيق ما يلقيه عليهم من حقائق صوفية مع الحقائق الشرعية التي نشأوا عليها .(١)

٢ــ الابتعاد عن ذكر اختلاف آراء العلماء : لقد حذر الغزالي ، وشاركه نفر آخرون من المعلمين ، من حشو اذهان المبتدئين من الطلاب باختلافات آراء العلماء سواء كان ذلك في حقل العلوم الدينية ام الدنيوية ، وذلك لان هذه الاختلافات قد تسبب بلبلة في اذهان الطلاب ، وتدخل الى عقولهم الحيرة والشك(٢) .

وقد ارتأى الغزالي بان يؤخذ الطلاب في البدء برأي واحد ، هو الرأي الرشيد الذي يؤمن به المعلم ، حتى اذا اتقن الطلاب هذا الرأي ، فلا بأس عندئذ من القاء نظرة على بقية الآراء والمذاهب الضالة(٣) .

ونحن نجد ما يشابه هذا الرأي عند ابن خلدون ، عندما ينتقد المعلمون الذين يطالبون الطلاب بالوقوف على مختلف التصانيف في الفن الواحد دفعة واحدة ، ومن ثم يطالبونهم بحفظ اختلافات العلماء في هذا الفن ، وبذكر مختلف مصطلحاته وشروحه بحيث اذا بلغ الطالب وقتا طويلا من عمره مطالعا وحافظا ، لا يفي بالغرض المقصود (٤) .

٣ــ الابتعاد عن مختصرات العلوم : وفي الوقت نفسه ، نجد ابن خلدون من عصره من المعلمين الى خطأ طالما وقعوا فيه ، ويتأتى هذا الخطأ عن اختصار العلوم المختلفة وحصرها في كتب صغيرة الحجم ، محشوة بالمعاني ، ومن ثم مطالبة الطلاب بحفظها ،

---

(١) طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٤٠ .

(٢) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٤٨ . ابن جماعة ، تذكرة ص ١١٦ ــ ١١٧ .
الذرى ، الدر ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٣) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٤٨ .

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٣١ ــ ٥٣٢ .

يقول ابن خلدون بان شرر هذه المختصرات يبدو اولا في شدة صعوبتها لما فيها من خلل في البلاغة وتعقيد في الاسلوب ، عامها لانها تقدم للمبتدئ من الطلاب افكارا كثيرة متراصة المعاني قبل ان يستعد ذهنه لتقبل هذه المعاني ، وثانيا ان ما فيها من الفاظ موجزة تجعل استخراج المعاني منها مسألة غاية في الصعوبة هذا عما تحتاج اليه من مجهود متواصل ووقت فسيح ، واخيرا هي بعيدة كل البعد عن الكتب المطولة المبسطة التي تفيد في تنمية ملكة الطلاب لما فيها من تكرار للادلة واسهاب في الشرح (١) .

ب — مبدأ التدرج المركزي .

لقد دعى بعض المربين العرب الى مبدأ التدرج المركزي ( ) وقصدوا بذلك ان يبدأ المعلم بتعليم المبتدئين من الطلاب اسهل قواعد العلم واقربها ثم يبتعد من التعمق والصعوبة في هذا العلم كلما ازداد الطلاب نموا في السن واتساعا في الادراك ، ويعد ابن خلدون بحق صاحب الريادة في الدعوة الى هذا المبدأ ، واول من تناوله بالشرح الوافي في مقدمته ، واليك ما قاله في هذا الشأن :

((اعلم ان تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيدا ، اذا كان على التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا يلقى عليه :

١ — اولا مسائل من كل باب من الفن هي اصول ذلك الباب ، ويقرب له في شرحها على سبيل الاجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي الى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم ، الا انها جزئية وضعيفة وغايتها انها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله .

٢ — ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك المرتبة الى اعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج من الاجمال ، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه الى ان ينتهي الى آخر الفن فتجود ملكته . (٢)

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٣٢ — ٥٣٣ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٣٣ .

٣— ثم يرجع به وقد شد فلا يترك عويصا ولا مهما ولا مغلقا الا وضحه وفتح له مغلقه فيخلص من الفن وقد استولى على ملكه . هذا هو وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت انما يحصل من ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في اقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه »(١) .

ثم يتناول ابن خلدون بعض من عاصره من المعلمين بالنقد اللاذع ، فيعيب عليهم اساليبهم في اعطاء المبتدئين من الطلاب ما لم تستعد اذهانهم لفهمه من الفنون فيقول :

« وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي ادركنا يجهلون طرق التعليم وافاداته ويستعجلون ويحشون للمتعلم في اول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبونه باحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وتحصيلا لصوابه فيه ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله ويغلظون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها وقبل ان يستعد لفهمها »(٢) .

ثم يعرض ابن خلدون رأيه في كيفية تعليم المبتدئين من الطلاب بما يناسب عقولهم فيقول :

« فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجيا ويكون المتعلم اول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا في الاقل وعلى سبيل التقريب والاجمال والامثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال من التقريب الى الاستيعاب الذي فوقه حتى تستحكم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل »(٣) .

ويطلق ابن خلدون ، فيبلغ مستوى المعاصرين من علماء التربية ، حينما يذكر المساوئ الناجمة عن عدم تطبيق مبدأ التدرج في التعليم اذ يقول :

« ... واذا القيت عليه (اي على الطالب المبتدئ) الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وانصرف عن قبوله وتمادى في هجرانه

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٣٣ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) نفس المصدر ص ٥٣٤ .

في هجرانه ، وانما اتى ذلك من سوء التعليم »[١] .

ولهذا رأينا ابن خلدون يوافق القاضي (ابو بكر بن العربي)[٢] حينما ذهب الى وجوب تقديم تعليم اللغة العربية من نحو وشعر وادب على تعليم القرآن ، ليتاح للصبي فهم ما جاء في القرآن اولا ، ولان استعدادات الصبي العقلية لا تساعده على تفهم القرآن في صغره تماما[٣] . ولكن ابن خلدون يستدرك قائلا :

« ... وهو لعمري مذهب حسن الا ان العوائد لا تساعد عليه ... ووجه ما اختصت به العوائد من تقديم دراسة القرآن ايثارا للتبرك والتيمن وخشية ما يعرض للولد من جنون الصبي من الافات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن ... »[٤]

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٣٤ .

(٢) هو ابو بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، احد علماء الاندلس (توفى ٥٤٣ هـ)

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٣٩ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٥٤٠ .

ج — القيم النسبية لمختلف العلوم .

لقد صنف العلماء العرب العلوم تصانيف مختلفة ، وذلك بحسب غاية هذه العلوم او طبيعتها او قيمتها التربوية ، فابن خلدون يقسم العلوم الى نوعين ، علوم مقصودة بالذات واخرى مساعدة ، فالاولى تعتبر غاية في نفسها وهي كالعلوم الشرعية من حديث وفقه وتفسير ، وكالفلسفة من علم الكلام والالهيات ، اما الثانية فهي وسيلة لدراسة الاولى كعلوم اللغة والحساب والمنطق (١) .

اما الغزالي فيقسم العلوم الى قسمين علوم شرعية واخرى غير شرعية . اما العلوم الشرعية فهي التي تاتي على لسان الانبياء ، ومن طريق النقل ، كالاصول في علم القرآن وعلم الحديث والسنة والفقه ، اما العلوم غير الشرعية فهي التي تجرى مجرى الآلات للعلوم غير الشرعية مثل اللغة والنحو والحساب (٢) .

وقد عمد بعض العلماء ايضا الى تقسيم العلوم تقسيما آخر وذلك بالنسبة لقيمتها التربوية ، فهم تارة يقسمونها الى علوم عليا ، تقصد بها العلوم الدينية ، والى علوم وسطى وهي العلوم الدنيوية ، والى علوم سفلى وهي علوم الصناعات (٣) ، وهم طورا يقسمونها الى ما هو فرض عين من العلوم ، والى ما هو فرض كفاية ، والى ما هو مكروه ، وذلك تبعا لصلتها للدين (٤) .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٣٦ — ٥٣٧ .
ويصنف ابن خلدون العلوم صنفا آخر ، وذلك من الوجهة العقلية ، فيقسمها الى صنفين ، علوم عقلية وهي التي يهتدي اليها الانسان بعقله كالفلسفة والعلوم الحكمية واخرى نقلية وهي التي لا يستطيع الانسان ان يتوصل اليها بعقله بل يأخذها عن غيره شأن العلوم الدينية واللغوية (المقدمة ص ٤٣٥) .

(٢) الغزالي ، احياء ج ١ ص ١٤ — ١٥ ، وفاتحة ص ٣٥ .

(٣) النمري ، جامع ص ١١٦ .

(٤) الغزالي ، فاتحة ص ٣٥ — ٤٧ .

اما القيم التي اسبغها العلماء العرب على مختلف فروع هذه العلوم فقد اختلفت ، كما يظهر ذلك واضحا من خلال تصانيفهم لهذه العلوم ، ولاجل ان ندرك جيدا طبيعة هذا الاختلاف علينا ان نذكر اولا ما قاله احد الاساتذة المعاصرين(١) ، من ان وظيفة العلم في التعليم هي ابراز القيم والمثل الاجتماعية في نفوس الافراد ، ومن ثم اعدادهم للحياة الاجتماعية المثلى ، اى ان العلم سواء اكان واقعيا عمليا ، ام مثاليا في ادمغة العلماء من العيار ، يعتبر صورة لاحوال المجتمع وحاجاته ، فاذا نحن القينا نظرة سريعة على المجتمع العربي في الفترة التي نحن بصددها ، الفيناه مجتمعا دينيا ، ولهذا نرى بان العلم الدراسي خلال هذه الفترة كان دائما يدور حول محور من الدين والياك الان بعض الاحاديث وبعضا من اقوال العلماء في قيم العلوم المختلفة :

((عن عبدالله بن عمرو بن العاص انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة ، وسنة قائمة ، وفريضة عادلة))(٢) .

((عن ابي هريرة ... ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فراى جمعا من الناس على رجل فقال ما هذا قالوا يا رسول الله علامة ، قال وما العلامة قالوا اعلم الناس بانساب العرب واعلم الناس بوقائعها واعلم الناس بشعر واعلم الناس بما اختلف فيه العرب فقال رسول الله هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر .))(٣)

اما الغزالي فيرى :

((بان العلم بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره ، وقسم هو محمود قليله وكثيره ... وقسم يحمد فيه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه ... اما القسم المحمود الى اقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله وسننه ...))(٤) .

---

(١) الاهواني ، التعليم في راى القابسي ص ١٤٢ — ١٤٥ .

(٢) ابن ماجة ، المقدمة : ٨ . سنن ابي داوود ، الفرائض : ١ .
الدوري ، جامع ص ١٠٧ .

(٣) لم اجده في الكتب الستة .
الدوري ، جامع ص ١٠٧ .

(٤) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٣٦ — ٣٧ .

وذهب بعض العلماء الى تقسيم العلوم بالنسبة لفيضها الى ثلاثة اقسام "

١ — ما هو فرض عين من العلوم معتمدين على الحديث النبوي "

((طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة))(١) .

وقصدوا بهذه العلوم ، العلوم الدينية من عقائد واعمال وعبادات ومعاملات وغير ذلك من الواجبات التي لا يكمل دين المرء الا بمعرفتها(٢) .

٢ — ما هو فرض كفاية من العلوم ، وهي التي اذا قام بها البعض سقط واجب معرفتها عن الباقين ، وتنحصر بقية العلوم الدينية من اصول ، وفروع واحاديث وسنن ، والعلوم التي تجري مجرى الالات للعلوم الدينية وهي علوم اللغة ، والنحو ، والحساب ، والطب . (٣)

٣ — واخيرا ما هو محرم من العلوم ، وقد بين لنا الغزالي السبب في تحريم هذه العلوم فقال بان العلم لا يذم من حيث كونه علما ، وانما يذم من حيث تاثيره على الافراد اما لانه مضيعا للعمر لقصور الناس شأن السحر وعلم الطلاسم ، او لانه يسبب الضرر لصاحبه شأن علم التنجيم(٤) .

وقد ذهب بعض العلماء الى ان تعليم القراءة والكتابة وعبادى علم اللغة والنحو هو من الفروض الواجبة ، قال التلمساني "

((ولقد ذكر بعضهم انه ينبغي ان يعلمهم اعراب القرآن ذلك لازم له ، والشكل والهجاء والخط الحسن والقراءة الحسنة بالتوقيف والترتيل ، وما وجه ذلك))(٥)

---

(١) ابن ماجة المقدمة ١٧ ؛ ٥ . الغزالي احياء ج ١ ص ٣٦ — ٣٧ .

(٢) الغزالي ، فاتحة ص ٣٦ . الزرنوجي ، تعليم ص ٤ . العلوي ، العهد ص ٢٠

(٣) الغزالي ، فاتحة ص ٣٨ . الزرنوجي ، تعليم ص ٧ — ٨ .
العلوي ، العهد ص ٢٣ — ٢٤ .

(٤) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٢٧ — ٢٦ . الزرنوجي ، تعليم ص ٩ .
العلوي ، العهد ص ٢٥ .

(٥) التلمساني ، اجوبة ص ٤٣ — ٢

ويحسن بنا وقد عرضنا الى ذكر اللغة ، ان نعرف بان ادباء العرب وعلماءهم على حد سواء قد اهتموا منذ أقدم العصور الاسلامية ، اهتماما كبيرا بتعليم اللغة العربية ، قال ابن قتيبة :

((عن ابن شبرمة : اذا سرك ان تعظم في عين من كنت في عينه صغيرا ، وتصغر في عينك من كان في عينك عظيما فتعلم العربية ، فانها تجر بك على المنطق وتدنيك من السلطان ، ويقال النحو في العلم بمنزلة الطب في القدر والرافد في الطيب))(١)

وقال ايضا :

((قال مسلمة بن عبدالملك : اللحن في الكلام اقبح من الجدري في الوجه ،وقال عبدالملك اللحن في الكلام اقبح من التمزيق في الثوب))(٢) .

وقال الجاحظ :

((الذي اضعت من لسانك اضر عليك مما اضعت من مالك))(٣) .

بعد ان الغزالي ، مع اعترافه بضرورة هذا العلم ، اراد تحديده فقال :

((فاقتصر من علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتتعلق به ، ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ، ودع التعمق فيه ، واقتصر في النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة))(٤) .

وقد كرس ابن خلدون في مقدمته بحثا وافيا عن الاسلوب الملائم لتعليم اللغة ، توصل في بحثه آنذاك الى ما توصل اليه علماء التربية في عصرنا هذا ، من ان هنالك فرقا كبيرا بين القدرة على التعبير الصحيح (وهو ملكة اللسان العربي على حد تعبير ابن خلدون) وبين التعمق في معرفة قواعد اللغة (وهي صناعة العربية على حد تعبيره) ، وهذا الفرق في رأي ابن خلدون هو كالفرق بين المعرفة النظرية لكيفية القيام بعمل ما وبين القيام بهذا العمل وساق على ذلك مثلا فقال :

---

(١) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٥٧ .

(٢) نفس المصدر والجزء ، ص ١٥٨ .

(٣) الجاحظ ، البيان والتبيين ج ٢ ص ١١٥ .

(٤) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٢٧ .

((ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين اذا سئل كاتبة سطرين الى اخيه او ذي مودته ، او شكوى ظلامة ، او قصد من قصوده اخطأ عن الصواب واكثر من اللحن))(١) .

وينتهي ابن خلدون الى القول بان القدرة على التعبير (او ملكة اللسان العربي) لا تحصل الا بكثرة الدوران والممارسة وكثرة حفظ كلام العرب ، وبذلك فقط ينشأ المتعلم فصيحا وكأنه نشأ مع فصحاء العرب(٢) .

وقد تعرض المربون ايضا لباقي فروع العلم مثل الحساب ، والادب ، والشعر ، والتاريخ وغير ذلك من الفروع التي سموها ((العلوم المساعدة)) ، فالغزالي يرى بان تعليم الحساب هو فرض كفاية ، لما له من فائدة دينية في حقول المعاملات والوصايا والمواريث ، فيقول :

((ثم لا يختص هذا (اى فرض الكفاية من العلوم) بالعلوم الدينية بل يدخل فيه كل علم لا غنى للناس عنه كعلم الطب الذي يحتاج اليه لعلاج المرضى وعلم الحساب الذي يحتاج فيه قسمة المواريث والوصايا ، وعلم المساحة التي يحتاج اليها في قسمة الاراضي ...))(٣) .

اما الباحظ فانه راى في الحساب فائدة اجتماعية ودينية فقال :

((اما القول في العقد ، وهو الحساب ، دون اللفظ والخط ، فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به قول الله عز وجل ... والحساب يشتمل على معاني كثيرة ومنافع جليلة وفي عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فساد جل النعم وفقدان جمهور الحائج ، واختلال كل ما جعله الله عز وجل لنا قواما ومصلحة ونظاما))(٤)

ولذلك رايناه التليسي يقول :

((ويمكني ان يعلمهم الحساب وليس ذلك يلزم (اى فرض واجب) له ، الا انه يشترط عليه))(٥)

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٦٠ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٦١ .

(٣) الغزالي ، فاتحة ص ٣٨ .

(٤) الباحظ ، البيان والتبيين ج ١ ص ٨١ .

(٥) التليسي ، احوال ص ٤٤ — ٢ .

واشيرا ، من العلوم الاختيارية التي لم ير القابسي بأسا في تعليمها ((ايام العرب)) او ما تسمه اليوم بالتاريخ السياسي ، وغاية هذا العلم عند القابسي ، في كونه باعثا للطلاب على افعال البطولة ، والتشبه بالابطال ، وعمل الخير[١] .

ويعد هذه المقدمة في بيان القيم النسبية لمختلف العلوم ، يسهل علينا فهم ما ذهب اليه بعض العلماء من قولهم بان العلوم المساعدة قد اخذت من وقت الطالب وجهده مركزوا لا تستحقه وذلك على حساب العلوم المقصودة بالذات ، التي هي اكثر اهمية واعظم فائدة للطالب ، ويرى ابن خلدون بانه لا حرج على الطالب من التوسع في حقول العلوم المقصودة لذاتها ، لما فيها من فائدة في تنمية ملكاته ، اما العلوم المساعدة ، ويخص ابن خلدون بالذكر منها علوم اللغة ، فيجب ان لا تدرس الا من حيث هي آلة لفهم غيرها من العلوم ، اما اذا تعدى الامر فيها الى دراسة عميقة مطولة ، فانها تصبح حينئذ غاية في نفسها وبذلك تخرج عن الغاية المقصودة من دراستها وتصبح عائقا لغيرها من العلوم المقصودة بالذات ، وذلك لما تحتاجه من وقت وجهد وما تتصف به من اتساع وتشعب ، بحيث يتقاضى العمر دون الالمام التام بها ، وهذا ما يعود على المتعلمين بالضرر البليغ ، لانهم اضاعوا عمرهم في تحصيل الوسائل دون الغايات ، ولهذا يجب على المعلم ان ينبه طلابه الى هذه الحقيقة بان يبين لهم الغرض من كل هذه العلوم وان يشجعهم على السعي في دراسة العلوم التي تنفعهم في حياتهم الدنيا والاخرة[٢] .

---

(١) القابسي ، اجوبة ، ص ٢٤ — ب ، ٢٥ — أ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٣٧ .

الغزالي ، احياء ج ١ ص ٣٧ — ٤٨ .

طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٣٨ .

د — التخصص في العلوم .

لقد اثار العلماء ، الى جانب العلوم التي نصحوا المعلم بتدريسها ، مسألة اخرى تتعلق بها وهي مسألة التخصص باحد فروع هذه العلوم ، وما يقابل ذلك من دراسة عامة شاملة ، ويظهر ان اكثرهم اتفقوا على ان التخصص هو من الامور المستحسنة ، وقد روي عن الخليل بن احمد قوله :

((اذا اردت ان تكون عالما فاقصد لفن من العلم ، وان اردت ان تكون اديبا فخذ من كل شيء احسنه))(١) .

وروي عن ابي عبيدة انه قال :

((ما ناظرني رجل قط وكان مقتنا في العلوم الا ظننته ولا ناظرني رجل ذو فن واحد الا ظنني في علمه ذلك))(٢) .

بعد انهم وضعوا للتخصص شروطا لا يصح بدونها ، فقد حدد ابن خلدون التخصص والتوسع في دراسة العلوم التي سماها العلوم المقصودة بالذات(٣) ، وشجب التوسع بدراسة العلوم المساعدة فقال :

((فاما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج فيه في توسيعه الكلام فيها وتفريع المسائل واستكشاف الادلة ... فان ذلك يفيد طالبها ملكة في علمه وايضاحا لمعاضيله المقصودة . واما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق واصولها فسلا ينبغي ان ينظر فيها الا من حيث هي آلة لغيرها ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل))(٤) .

ولقد كره اكثرهم ان يصرف الطالب عمره وراء فرع واحد من العلوم ويبقى جاهلا الفروع الاخرى منها :

((قال يحيى بن خالد بن برمك لابنه : يا بني خذ من كل علم بحظ وافر فانك ان —

---

(١) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٢٦ . الحموي ، جامع ص ٦٥ .

(٢) الحموي ، جامع ص ٦٥ — ٦٦ .

(٣) انظر ص ١٠٦ من هذه الرسالة .

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٣٧ .

ان لم تحل جهلت وان جهلت شيئا من العلم عاديته ، بما جهلت وعوير على ان تعادى شيئا من العلم »(١) .

ولذا ذهب الغزالي الى انه يجب على طالب العلم ان يلم اولا بدراسة مختلف انواع العلوم بصورة عامة فيطلع على اهدافها وغايتها ، ومن ثم يطلب الشيخ فيما يختاره بعد ذلك منها(٢) لان العلوم جميعها مترابطة بعضها ببعض واى خلل في احدها قد يؤدى الى خلل في الاخر ، ولان فهم بعضها هو طريق لا بد منه لفهم البعض الاخر(٣) .

وقد شبه احد العلماء التعليم بالبناء والعلم بالبناء ، فكما ان على البناء ان يبني البناء من جميع نواحيه كيلا يصير الى الانهيار ، كذلك على العلم ان يعلم الطالب مختلف انواع العلوم لكي تتم معرفته(٤) .

---

(١) العمرى ، جامع ص ٦٦ .

(٢) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٣٧ — ٤٨ وناصحة ص ٥٨ .
ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٢٩ .

(٣) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٤٨ .

(٤) منهاج العلم ص ٨٨ .

٣ــ الطـــــــــــــالب

لقد حقق العيون العرب بان التضلع في المادة الدراسية ومعرفة الاسلوب الملائم لعرضها ، لا يكفيان وحدهما لنجاح التعليم بل يجب ان يضاف اليهما عنصر آخر لا يقل عنهما اهمية وهو معرفة الطالب والتعمق في دراسة نفسيته . وقد عبر بعضهم عن هذه الفكرة بان شبه المعلم بالطبيب ، فكما ان من واجب الطبيب ان لا يعالج مرضاه ما لم يعرف نوع دائهم ، كذلك من واجب المعلم ان لا يشرع باصلاح طلابه قبل ان يتعرف على طبائعهم واخلاقهم[١] .

وقد كان اهتمام الصوفيين من العيون في هذه المسألة اقوى واشد ، فنصحوا الشيخ بان يهتم بطبيعة المريدين النفسية منها والعقلية ، فيتعرف على امزجتهم وعلى ما يشغل نفوسهم وعلى ما وراء سلوكهم من دوافع ، وعلى ما في هذه الدوافع من عناصر خير او شر ، كما نصحوه بان يتعرف على محيطهم الخارجي في منازلهم واحيائهم وأوطانهم ليعرف مدى تاثير هذا المحيط في نفوسهم[٢] .

آ ــ مستوى الطالب الفكري .

ان من اهم واجبات المعلم ، فيما يتعلق بعملية التعليم ان يهتم بمادة الدرس بأسلوب عرض هذه المادة ، بحيث يتلاءم ذلك مع مستوى الطالب الفكري واستعدادهم العقلي ، ومسؤوليته ان يقتدي بالرسول الاعظم اذ يقول :

((نحن معشر الانبياء أمرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم))[٣] .

---

(١) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٣٤ . ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٦٦ .

(٢) ابن عربي ، آداب ص ٣ . العطاس ، آداب ص ١١ ــ ب ، ١٤ ــ ب
ابو بكر ، آداب ص ٧ . الاقفهسي ، تحفة ص ٣٣ ــ ب ، ٣٤ .

(٣) لم اجده في الكتب الست .
الغزالي ، فاتحة ص ٦٢ . ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٢ .

((كلوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله))(١) .

((ما حدث احدكم قوما بحديث لا يبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم))(٢) .

هذا ، وقد الح العربون العرب هذ القدم عهودهم على ضرورة عصر الفهم في التعليم فهذا الخليل بن احمد يقول :

((اكثر من العلم لتعلم واقلل منه لتحفظ))(٣) .

وهذا ابن قتيبة يقول :

((التفقه على غير علم كسفر الطلسويه يدور ولا يبرح))(٤) .

وهذا الزرنوجي يقول :

((فهم حرفين خير من حفظ وقرين))(٥) .

ولذلك نجد الزرنوجي مثلا يحث الطالب على السعي في فهم الدرس من ثم المعلم ، فان لم يستطع ذلك فليعمد الى التأمل والتفكير(٦) .

ونجد ابن خلدون ايضا ، يحذر الطالب من عبودية الحرف وينصحه بالنفوذ الى أعماق المعاني فيقول :

((فلا بد ايها المتعلم من مجاوزة هذه الحجب كلها (اي حجب الالفاظ) الى الفكر في مطاويها))(٧) .

---

(١) البخاري ، علم : ٤٦ .
الغزالي ، ميزان ص ١٧٤ .

(٢) لم اجده في الكتب الست .
الغزالي ، احياء ج ١ ص ٣٤ ، ٥٤ .

(٣) النمري ، جامع ص ٦٥ .

(٤) ابن قتيبة ، عيون ج ٢ ص ١٢٤ .

(٥) الزرنوجي ، تعليم ص ٤٢ .

(٦) الزرنوجي ، تعليم ص ٤٢ .

(٧) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٣٥ .

وفي نفس الوقت يعترف ابن خلدون بان الذين يستطيعون التحرر من عبودية الحرف هم قليلون ، وذلك لصعوبة الطريق :

((وليس كل احد يتجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يقطع هذه الحجب في التعليم بسهولة بل ربما وقف الذهن في حجب الالفاظ بالحادثات او عثر في اشتراك الادلة بشغب الجدال والشبهات وقعد عن تحصيل المطلوب ، ولم يكن يتخلص من تلك الغمرة الا القليل ممن هداه الله ...))(١) .

وينتهي ابن خلدون الى القول :

((فاذا ايقنت بكل ذلك وعرض لك ارتياب في فهمك ... فاطرح ذلك وانتقد حجب الالفاظ وعوائق الشبهات واترك الامر الصناعي جملة واخلص الى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه))(٢) .

وكقاعدة عامة ، على المعلم ان يسير في تدريسه ببطء(٣) ، وان يجيب عن الاسئلة بأجوبة تتلائم مع مستوى السائل الفكري ، وقد روي عن ابن حنبل انه سئل :

((يسألك السائل عن مسألة فتجيبه ثم يسألك آخر عن تلك المسألة فتجيبه بجواب آخر فقال على قدر السائل يكون الجواب))(٤) .

وان يبدأ مع المتعلمين من الطلاب بالمسائل السهلة وينتقل معها بالتدريج الى المسائل المعقدة المركبة(٥) . واخيرا ان يكون تعليمه افراديا بمعنى عليه ان يكلم كل طالب على قدر فهمه ، فيكتفي بالاشارة والايجاز للطالب الذكي الحاذق ، ويوضح باسهاب وبساطة لمن دونه في الذكاء والادراك(٦) .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٣٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٥٣٥ — ٥٣٦ .

(٣) البيهقي ، نهج ص ٨٤ — ب .

(٤) السهروردي ، آداب ص ٢٠ — ب .

(٥) ابن خلدون ، المقدمة ص ٥٣٤ .

(٦) الشوى ، الدر ص ١٧١ .

هذا ، وقد يكون بعض العيوب العلمي الناجمة عن عدم اهتمام المعلم بمستوى الطلاب الفكري ، وبالتالي تلقينهم ما لم تتأهل له عقولهم من دروس بما يلي :

١ — قد يكون ذلك سببا لقتل ما في نفوسهم من رغبة في العلم ، وميل لبعض انواع الدروس ، وذلك نتيجة للسأم والملل الذي يحتري نفوسهم من جراء عدم تفهيمهم وتلقينهم بما يلقيه المعلم عليهم من دروس(١) .

٢ — قد يؤدي ذلك الى تشويش اذهان الطلاب ، وتبديد ما في افكارهم من معلومات(٢) .

٣ — اما في حقل العلوم الدينية فان لذلك خطره الجسيم ، فمن المحتمل ان يؤدي الى ادخال الشك في نفوسهم ، واضعاف ما في قلوبهم من اعتقاد وايمان(٣) . ولذلك امر معلم الديانة بان يتجنب التعمق في المسائل الشرعية او تأويلها امام من لم يتأهل عقله لفهمها من الطلاب ، اللهم الا اذا وجد بعض هؤلاء الطلاب على درجة من الذكاء او الاستعداد الفكري يستطيعون معه فهم ما يلقيه عليهم من افكار في هذا الباب(٤) .

٤ — لقد سبق لنا ورأينا خطر ذلك ايضا في حقل التربية الصوفية(٥) .

ب — فروق الطلاب الفردية .

لقد اخذ المربون الحرب بعين الاعتبار ما يجور الطلاب بعضهم عن بعض من فروق في استعداداتهم العقلية وميولهم العاطفية ، فنصحوا المعلم بان ينظم المادة الدراسية ، وان يعرضها بما يناسب المستوى العقلي لكل طالب من طلابه ، كما نصحوه بان يعمل على ارضاء ميولهم العاطفية بما يلقيه عليهم من علوم(٦) ، ولهذا كان لزاما

---

(١) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٥٤ . الذري ، الدر ص ١٩٥ ، ١٩٦ .
البيكاني ، نهج ص ٨٥ .

(٢) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٥٤ . الذري ، الدر ص ١٩٥ ، ١٧٠ .

(٣) الغزالي ، احياء ج ١ ص ٥٤ . طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٤٠ .

(٤) نفس المصادر والصفحات . الغزالي ، ميزان ص ١٧٦ .

(٥) انظر صفحة (١٠٢) من هذه الرسالة .

(٦) طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٣٨ . الحسناي ، الرياض ص ٨ — ب .

وقد ذهب بعض التربويين الى وجوب تطبيق هذا المبدأ على تدريس العلوم ايضا ، فنصحوا المعلم بأن يدرس طبيعة الطالب العقلية ، واستعداداته الفكرية ، قبل ان يقدم على تدريسه ، حتى اذا عرف درجة ذكائه ومبلغ استعداداته الفكرية ، اختار له العلم الذى يلائمه وخاطبه بالاسلوب الذى يفهمه [١] . ويجب ان لا يتأخر المعلم اذا شاهد من احد طلابه تقصيرا في علم من العلوم ، ان يذهب الى ابعد من ذلك فيدرس مبلغ اهتمامه بهذا العلم ، حتى اذا لم يشاهد منه رغبة فيه وميلا اليه ، اشار عليه بترك هذا العلم والاتجاه الى علم آخر هو اقرب الى نفسه وميوله[٢] ((اذ ليس كل احد يصلح لتعلم العلوم ولا كل من يصلح لتعلمها يصلح لجميعها بل كل ميسر لما خلق له)) [٣] .

---

(١) طاش كبرى زادة ، مفتاح ج ١ ص ٣٨ . منهاج المتعلم ص ٨٧ . الانصارى ، المؤانسة ص ٥ .

(٢) ابن جماعة ، تذكرة ص ٥٧ . منهاج المتعلم ص ٩١ .

(٣) الانصارى ، المؤانسة ص ٥ .

الفصل الخامس

اجارة التعليم

٢ — ضرورة الاجازة .

لقد اتفق المربون العرب ، على اختلاف مذاهبهم العقلية والدينية ، على ان الشرط الاول والاساسي لمزاولة مهنة التعليم هو الأهلية لهذا المنصب (١) ، وقد حددوا هذه الأهلية بعناصر متعددة سبق وعرضنا بعضها ، بيد ان اهم هذه العناصر هي المعرفة العلمية ، ولا يكفي في هذه المعرفة ان تقتصر على المادة التي يدرسها المعلم فحسب ، بل يجب ان تتعداها الى نوع المعرفة الاخرى (٢) . كما يجب فيها ان لا تكون وليدة الكتب والمطالعة فقط ، بل أن تتعدى ذلك الى الاخذ من افواه العلماء والاستفادة من خبرتهم (٣) ، ومن هنا كانت الشهادة التي يمنحها المعلمون او المشايخ عنصرا مهما من عناصر اهلية التعليم ، وهذا ما اطلق عليه العرب اسم (اجازة التعليم) (٤) .

ولم يكن نظام الاجازة معروفا في العصور الاسلامية الاولى . وقد ذهب احد المستشرقين الى ان الاسلام لم يعرف نظاما رسميا للمعلمين الى ان ظهر نظام الاجازة عندما عم انتشار الكتب المدرسية (٥) .

ويرى الدكتور الاهواني (٦) بان نظام الاجازة انتشر حتما بعد القرن الرابع الهجري ، بدليل ان التنوخي ، وهو احد علماء القرن الرابع ، لم يضع من الاجازة شرطا من شروط

---

(١) ابن جماعة ، تذكرة ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٨٥ . الغزي ، آداب المتعلمين ٧ ص ٢٨٩ والضمان ص ١٩٠ . الغزي ، الدر ص ١٦٣ . ابن سهي ، آداب ص ٤ .

(٢) ابن جماعة ، تذكرة ص ٤٥ ، ٤٦ . الغزي ، الدر ص ١٦٦ .

(٣) ابن جماعة ، تذكرة ص ٨٥ . الغزي ، الدر ص ١٦٣ . ابن سهي ، آداب ص ٤ البوشكاني ، تنبيه ص ٧٥ .

(٤) البوشكاني ، تنبيه ص ٧٥ . الغزي ، جامع ص ٢١٦ — ٢١٧ .

(٥) Pedersen , ((Masdjid)) E . I .

(٦) الاهواني ، التعليم ص ١٨٠ .

شروط التعليم ، بل جعل هذا الشرط مقصورا على معرفة القرآن ، والنحو ، والشعر وايام العرب .

اما المستشرق (جولد زيهر) فقد رأى بان نظام الاجازة ظهر بعد القرن الخامس الهجري(١) .

وقد كتب لنا النعري في كتابه (مقصد جامع ببيان العلم) بحثا يناقش فيه الاجازة ، فبين لنا بان علماء مصره اختلفوا في جوازها ، فاجازها قوم وكرهها آخرون ويقول بعد ذلك مبينا رأيه :

((وفيما ذكرنا في هذا الباب دليل على جوازها اذا كان الشيء الذي انجور معينا او معلوما محفوظا مضبوطا ...))(٢) .

واذا تذكرنا بان النعري قد كتب كتابه ذلك في النصف الاول من القرن الخامس الهجري تاريخيا مرتنا بان استعمال الاجازة قد انتشر في هذه الفترة انتشارا جعل العلماء يناقشون جوازها او عدمه .

ويظهر ان الاجازة كانت في بادىء الامر تكتب على الكتب التي اتم الطالب دراستها ، فقد روى لنا ياقوت الحموي في كتابه معجم الادباء ما يلي :

((ووجدت على ظهر كتاب الصحاح وكانت مجلدة واحدة كاملة بخط الحسن ابن يعقوب بن احمد النيسابوري اللغوي الاديب ما صورته : قرأ علي هذا الكتاب من اوله الى آخره بما حلق من حواشيه من الفوائد معارضا بمستحق صححا اياها حاصبه الفقيه الفاضل السديد الحسين بن مسعود الفراء بارك الله له فيه وهو اجازة لي من الاستاذ ابي منصور عبدالرحمن بن محمد البشكي عن المصنف وكتبه الحسن بن يعقوب بن احمد في شهر الله الاصم سنة ٤٧١ هـ))(٣) .

وكذلك روى لنا ابن خلكان ما يلي :

((كان ابو الحسن علي الحوفي النحوي عالما بالعربية ومفسر القرآن الكريم وله تفسير جيد واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به ورأيت خطه على كثير من كتب الادب وقد ترك عليه وكتب لاربابها بالقراءة كما جرت به عادة المشايخ(؟) يقول ابن خلكان

---

(١) Goldziher , ((Idğaza)) E . I .

(٢) النعري ، جامع ص ٢١٦ .

(٣) ياقوت ، معجم الادباء ، ج ٢ (مصر ١٩٢٤) ص ٢٧٢ .

بان ابو الحسن توفي سنة ٤٣٠ هـ (١) .

وذكر ياقوت ايضا ان احمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفي ٤٦٢ هـ ، وهو صاحب كتاب تاريخ بغداد ، كان يدرّس هذا الكتاب ويكتب عليه اجازة لمن اتم دراسته (٢) .

وهكذا نستنتج مما تقدم بان العلماء بدأوا بكتابة الاجازة بصورة منظمة على الكتب عند اوائل القرن الخامس الهجري تقريبا .

اما المتصوفون من العلماء ، فعلى الرغم من انهم اعترفوا بضرورة الاجازة ، فقد اعترفوا ايضا بما سموه ((الدعوة الالهية للارشاد)) وهذا ما قام عندهم مقام الاجازة (٣) ، قال الانقروي

((... ولكن يلزم المريد الادب مع الشيخ وان سلوك لو تصلوه ... ولا يقعد للارشاد الا بأذن منه ، ما لم يأمر به ، فما للشيخ طلبه في هذا مأخذ)) (٤)

وهكذا لم يمض كبير وقت على ظهور الاجازة حتى اخذ المربون يفرضون على المعلم واجب منح الاجازة لكل طالب اتم دراسته لقاء مبلغ معين من نوع المعونة ، جاعلين من هذه الاجازة المدخل الى التدريس (٥) .

---

(١) ابن خلكان ، وفيات ، ج ١ (مصر ١٢٩٩ هـ) ص ٤١٨ .

(٢) ياقوت ، معجم الادباء ، ج ١ ص ٢٥٢ — ٢٥٣ .

(٣) الانقروي ، نفحة ص ٤٣ . المكي ، نظم الفلاكة ص ١٢ .
المقدسي ، الادب ص ٧٧ .

(٤) الانقروي ، نفحة ص ٣٩ .

(٥) البيهقي ، نهج ص ٧٥ .

ب — انواع الاجازة .

لم يكتف العلماء العرب ببيان ضرورة الحصول على الاجازة كشرط اول لدولة مهنة التعليم بل تعدوا ذلك الى ذكر انواعها وتحديد شروطها بشروط محددة ، ف

اما انواع الاجازة فقد ميزت لنا المصادر بين نوعين منها ، عرف النوع الاول بالاجازات الخاصة وهي التي تخول حاملها الحق في تدريس فرع خاص من العلوم ، وعرف النوع الثاني بالاجازات العامة وهي التي تمنح حاملها الحق في تدريس اكثر من فرع واحد من العلوم ، فالمقرّي عندما يترجم لاستاذه وشيخه اثير الدين ابو حيان (توفي ٧٤٥ هـ) يذكر بانه زار اكثر بلدان الاندلس ، ومصر ، وسوريا ، وبلاد الحجاز ، طلبا للعلم وحصل من هذه الاقطار المختلفة على اجازات خاصة واخرى عامة[١] .

ويذكر لنا ابن بطوطة في رحلته بان بعض مشايخ مدينة دمشق اجازوه اجازة عامة في سنة ٧٢٦ هـ[٢] .

ولعل هذا ما يلقي ضوءا على قول المستشرق (بيدرسن) عندما قال بانه لم يكن هناك حد فاصل بين الحصول على اجازة للتدريس وبين التدريس نفسه ، فكثيرا ما نرى بعض ممن حصل على اجازة خاصة في فرع من فروع المعرفة لا يزال طالبا في فرع آخر من فروعها[٣] .

وقد بين لنا السيوطي[٤] بصورة مفصلة انواع الاجازات ، فذكر منها تسعة انواع نذكر منها ما يأتي :

١ — ((ان يجيز معينا بمعين))[٥] ، اي ان يعين الشيخ في الاجازة الشخص المجاز ويعين الكتاب او العلم الذي اجازه لتدريسه ، وهذا ما عرف بالاجازة الخاصة وقد اتفق العلماء على ان هذا النوع هو خير انواع الاجازات .

٢ — ((ان يجيز معينا بغير معين))[٦] ، اي ان يعين الشيخ الشخص المجاز ولا يعين ما اجازه به من الكتب او العلوم ، كان يقول (([illegible] جميع مسموعاتي))

المقرّي ، نفح الطيب ج ١ (مصر ١٣٠٢ هـ) ص ٥٩٧ .

(٢) ابن بطوطة ، رحلة ج ١ (باريس ١٨٧٩) ص ٢٤٨ .

(٣) Pedersen , ((Masdjid)) E . I .

(٤) السيوطي ، تدريب الراوي (مصر ١٣٠٧ هـ) ص ١٣٧ — ١٤٢ .

(٥) نفس المصدر والصفحات .

(٦) نفس المصدر والصفحات .

وقد وافق بعض العلماء على صحة هذا النوع من الاجازات ورفضها آخرون رفضا باتا .

٤ — ((اجازة غير معين بمعين))[١] اى ان يجيز الشيخ شخصا مجهولا بكتاب معلوم كان يقول ((اجزت محمد بصحيح مسلم)) ولكن لا يعين اى المحمدين هو ، وقد اتفق اكثر العلماء على بطلان هذا النوع من الاجازات .

٥ — ((اجازة المجاز))[٢] وهي ان يقول الشيخ لتلميذه ((اجزتك مجازاتي)) او ((اجزتك كل ما اجازنيه العلماء)) وقد اختلف العلماء فيها في صحة هذا الضرب من الاجازات فمنهم من وافق على صحتها ومنهم من رفضها .

---

(١) السيوطي ، تدريب ص ١٣٧ — ١٤٢ .

(٢) نفس المصدر والصفحات .

ج — شروط الاجارة .

لقد حدد العلماء شرعية الاجارة على اتوامها بشروط متعددة اهمها :

١— سبق وبينا بان الاجارة في فرع واحد المفروض من فروع العلم لا تكفي بأن تجعل من المعلم اهلا لتعليمه بل يجب ان يضاف الى هذه الاجارة سعة الاطلاع او بمعنى آخر اجازات اخرى في فروع مختلفة من العلوم(١) ، كما يجب ان يرافق ذلك اخلاق حسنة ودين قويم ((وقد روى عن السلف هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم))(٢) .

٢— لا تجوز الاجارة الا لمن اتقن دراسته وحذق فيها(٣) ، وليذكر المعلم بانه ((كلما اجتهد الطالب بكمال اهليته ورجحان عقله فان هذا اقرب الى انتفاعه به))(٤) .

٣— ان اجازة التعليم لا تكفي وحدها للحكم على مقدرة المعلم وجدارته بل يجب ان يحكم عليه من خلال نتائج اعماله(٥) ، ولهذا رأينا بعض العلماء وعلى رأسهم السيوطي يروا بان الشرط الاساسي للتصدي لمنصب التدريس هو ليس الاجازة بل الاهلية فسمحوا لمن علم من نفسه الاهلية ان يتعين التعليم وان لم يجزه لذلك احد(٦) وقد ذهب بعض العلماء الى حد منع من لم يثبت اهليته من المعلمين عن مزاولة التعليم ، بينما اكتفى آخرون بمجرد لوحه على شهادته(٧) .

---

(١) الغزي ، الدر ص ١٩٦ ، ١٩٧ . ابن جماعة ، تذكرة ص ٤٥ .

(٢) نفس المصادر والصفحات .

(٣) النعمي ، جامع ص ٢١٧ .

(٤) الغزي ، الدر ص ١٩٧ . النووي ، التبيان ص ١٩٠ .

(٥) البكري ، نظم ص ١٢ . ابو بكر ، آداب ص ٦ ، ٧ .
التلمساني ، احوال ص ٧١ ، ٧٢ .

(٦) السيوطي ، الاتقان ج ١ ص ١٠٤ — ١٠٥ .

(٧) التلمساني ، احوال ص ٧١ ، ٧٢ . البكري ، نظم ص ١٢ .
ابو بكر ، آداب ص ٦ ، ٧ .

٤ــ لا تتقيد الاجارة بالسن بل باهلية من يود الحصول عليها ، فعلى المعلم اذا اقتنع باهلية الطالب ان يعلمه اجارة بغض النظر عن صغر سنه (١) .

٥ــ على المجبور ان يعلم بان الاجارة لازمة لمن كملت اهليته فقط ، ولذلك لا يجوز بيعها بالمال او الامتناع عن منحها دون اخذ اجرة عليها(٢) .

---

(١) البيكاني ، نهج ص ٧٥ .

(٢) السيوطي ، الاتقان ج ١ ص ١٠٤ ــ ١٠٥ .

د — وصف الاجازة .

لقد تغيير شكل الاجازة بتغيير الازمان ، فبعد ان كانت في البدء بسيطة مختصرة في الشكل والصيغة اصبحت على مر الزمن معقدة صعبة ، ووجدت الصناعة اللفظيـــة طريقا اليها ، كما اخذت تصاغ بقوالب من الشعر(١) .

وقد ترك لنا ياقوت الحموي في كتابه معجم الادباء(٢) صورة لاجازة خاصة تعود بتاريخها الى القرن الخامس الهجري ، وهي تمثل الاجازة كما كانت في اول عهدها بسيطـــة التعابير ومختصرة الصيغة ومكتوبة على الكتاب ،وقد جاءت كما يلي :

((قرأ علي هذا الكتاب من اوله الى آخره بما علق من حواشيه من الفوائد معارضا بنسختي صحيحا اياها صاحبه الفقيه الفاضل السديد الحسين بن مسعود الفراء بارك الله له فيه وهو اجازة لي عن الاستاذ ابي منصور عبدالرحمن بن محمد البغدادي عن المصنف ، وكتبه الحسن بن يعقوب بن احمد في شهر الله الاصم سنة ٤٧١ هـ))(٣) .

ولم يأت القرن الثامن الهجري حتى بدانا نرى الاجازة وهي مكتوبة على قطع من الورق ، تتصف بالاسهاب والتعقيد(٤) ، واليك صورة منها لاجازة عامة حصل عليها القلقشندي صاحب كتاب صبح الاعشى وذلك سنة ٧٧٨ هـ(٥) .

((بعد البسملة :

الحمد لله الذي رفع للعلماء منارا ، واجزل نعمه عليهم اذ اغلى لهم مهارا ، ووفق بسواء الطريق من اقتدى بهم فيرادا واصدارا ، اشرقت همتهم العلية في حلبة السباق فهي لا تجاوى ... احمده حمد من هدى الى الحق فجعله شعاره ...

---

(١) G oldziher , ((Idjaza)) E . I .

(٢) ياقوت ، ادباء ، ج ٢ (مصر ١٩٢٤ م) ص ٢٧٢ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١٤ (مصر ١٩١٨ م) ص ٣٢٢ .

(٥) نفس المصدر ، ج ١٤ ص ٣٢٣ — ٣٢٤ .

واشهد ان لا اله الا الله وحده ... واشهد ان محمدا عبده ورسوله ...
اما بعد ، فقد وضح لذوى الابصار والبصائر واتضح عند ذوى الاسرار والسرائر
واستقر عند ذوى القلوب السليمة ، والعقول الراجحة ... ان منزلة علم الشريعة
عند الله تعالى اعلى المنازل ...))(١) .

وهكذا يبدأ فضل العلم والعلماء مستشهدا ببعض الايات والاحاديث ثم يستأنف قائلا :
((... ولما كان فلان — ادام الله تعالى تسديده وتوفيقه ، ويسر الى الخيرات
طريقه — ممن شب ونشأ في طلب العلم والفضيلة ، وتخلق بالاخلاق المرضية الجميلة
الجليلة ، وصحب السادة من المشايخ الفقهاء ، والنادة من الاكابر والعقلاء ، و
واشتغل عليهم بالعلم الشريف اشتغالا يرضي ، والى نيل السعادة انشاء الله
تعالى يفضي استخار الله تعالى سيدنا وشيخنا وبركتنا العبد الفقير الى الله
تعالى الشيخ الامام العلامة ، الحبر الفهامة ، فريد دهره ، ونسيج وحده ،
جمال العلماء ، اوحد الفضلاء ، عمدة الفقهاء والعلماء ، سراج الدين ، مفتي
الاسلام والمسلمين ، ابو حفص عمر بن سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى
الشيخ الامام العالم ... المرحوم نورالدين ابي الحسن علي ابن ... ابن ...
واذن ولجاز لفلان المسمى فيه ادام الله تعالى معاليه ان يدرس مذهب الامام
المجتهد المطلق العالم الرباني ابي عبدالله محمد بن ادريس المطلبي الشافعي ...
وان يقرأ ما شاء من الكتب المصنفة فيه وان يفيد ذلك لطلبته لطالبه ، حيث
حل واقام ، كيفما شاء متى شاء واين شاء ، وان يفتي من قصد استفتاءه خطا
ولفظا ، على مقتضى مذهبه الشريف المشار اليه ، لعلمه بديانته وامانته ، ومعرفته
وورعه ، واهليته لذلك وكفايته فليتق الله تعالى هذه الحملة الشريفة —
وليتزل بفضل الله تعالى ذروة هذه المرتبة المنيفة ، وليعلم قدر ما انعم الله
تعالى عليه ... ولا يستنكف ان يقول فيما لا يعلم لا اعلم ...

وكتب في تاريخ كذا ...

وكتب شيخنا الشيخ سراج الدين المشار اليه تحت ذلك بعد حمد الله تعالى
ما صورته ::

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ج ١٤ ص ٣٢٤ .

ما نسب الي" في هذه الاجازة المباركة من الاذن لفلان ... بتدريس مذهب الامام المطلبي محمد بن ادريس الشافعي ... والافتاء به لفظا وخطا ، صحيح فانه قال اقران صنوه بذكائه ، وبرع عليهم بالاستحضار وتحرير المنقول ووفائه ... واجوبته له مع ذلك ان يروي عني مالي من التآليف ومنها ... واجوبته له ط مع ذلك ما جاز لي ،ومني روايته بشرط عند اهله ... ومنها الكتب الستة البخاري ، ومسلم ، وابو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة ،والمسانيد مسند احمد ، مسند الشافعي وغير ذلك ...

وكان ذلك في تاريخ كذا))(١)

وقد تضع الاجازة جوابا على استدعاء يكتب من قبل الطالب او الطلاب المتعلمين ، ويقدم الى المعلم المختص ، الذي يجيب بدوره على هذا الاستدعاء باصطلاح الاجازة العلمية(٢) . واليك صورة عن استدعاء في طلب اجازة عامة "

((بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده ... وبعد فالسؤال من السادة العلماء والصلحاء — والمحدثين والادباء ان يتفضلوا ويجيزوا لـ(ذكر قائمة باسماء الطلاب) ... واكتبه ابراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمي ، جميع ما يجوز لهم ولهم روايته من سماع ومناولة واجازة وتصنيف وتأليف ونظم ونثر من جميع العلوم على اختلاف اقاميمها ... وكتب في عاشر صفر المبارك سنة ثمانين وسبعمائة بمدينة دمشق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم))(٣)

---

(١) القلقشندي ، صبح الاعشى ج ١٤ ص ٣٢٤ — ٣٢٦ .

(٢) نفس المصدر ، ج ١٤ ص ٣٣٢ — ٣٣٤ .

(٣) مخطوطة (ذيل الشيخ حافظ الاسلام برهان الدين ابراهيم ابن محمد بن خليل سبط بن العجمي) ص ٧ — ٩ .

(٣) مخطوطة ذيل الشيخ حافظ ص ٧ .

وهذا نص الاجازات التي كتبت جوابا على الاستدعاء السابق :

((اجبت للمذكورين في هذا الاستدعاء لطف الله بهم ما يجوز لي روايته بشرطه عند اهله ، كتبه الفقير الى الله الوالي الوالي محمد بن محمد بن محمد محمد البحالي لطف الله به الكبير المتعالي))(١) .

((اجبت لهم ولقنهم الله تعالى ما سألوه بشرطه عند اهله وكتبه عبدالوهاب بن يوسف بن السلام عفى الله تعالى عنه ، وولدي (اي الشيخ كاتب الاجازة) سنة ثماني وتسعين وسبعمائة والحمد لله وحده))(٢) .

وهكذا يعرض الاستدعاء السابق على كل المعلمين الذين اخذ منهم المستدعين فيكتب كل معلم اجازة مماثلة لما ذكرنا(٣) .

---

(١) مخطوطة ، عبت الشيخ حافظ الاسلام برهان الدين ، ص ٧ — ٨ .

(٢) نفس المصدر ص ٨ .

(٣) نفس المصدر ص ٩ .

لائحة المصادر والمراجع

١ــ المصادر المطبوعة ٠

١ ــ القرآن الكريم ٠

٠

٢ــ البخاري ، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل (توفي ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م) ٠
صحيح البخاري
(٩) اجزاء ، مصر ١٣١٤ ــ ١٣١٥ هـ

٠

٣ــ مسلم ، ابو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري (توفي ٢٦١هـ / ٨٧٤م) ٠
صحيح مسلم
(٨) اجزاء ، مصر ١٣٣٢ هـ

٠

٤ــ الدارمي ، عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل الدارمي (توفي ٢٥٥ هـ/٨٦٨م) ٠
سنن الدارمي
جزآن ، دمشق ١٣٤٩ هـ

٠

٥ــ ابو داود ، سليمان بن الاشعث السجستاني (توفي ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) ٠
صحيح سنن الصطفى
جزآن ، مصر ١٣٤٨ هـ

٠

٦ــ الترمذي ، ابو عبدالله محمد بن عيسى بن سورة (توفي ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) ٠
صحيح الترمذي
جزآن ، مصر ١٢٩٢ هـ

٠

٧ — النسائي ، الحافظ ابو عبدالرحمن احمد بن شعيب(توفي ٣٠٣هـ / ٩١٥م) ،
سنن النسائي
(٨) اجزاء ، مصر ١٩٣٠ م

٨ — ابن حنبل ، الامام عبدالله احمد (توفي ٢٤١هـ / ٨٥٥م) ،
مسند الامام ابن حنبل
(٦) اجزاء ، مصر ١٣١٣ هـ

٩ — ابن انس ، ابو عبدالله مالك (توفي ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) ،
موطأ مالك
جزءآن ، مصر ١٢٨٠ هـ

١٠— ابن المقفع ، عبدالله (توفي ١٣٩ هـ / ٧٥٧م) ،
الادب الكبير
نشر احمد زكي باشا ، مصر ١٩١١

١١— ابن المقفع ، عبدالله (توفي ١٣٩ هـ / ٧٥٧ م) ،
الادب الصغير
نشر احمد زكي باشا ، مصر ١٩١١

١٢— ابن جماعة ، بدرالدين محمد بن ابراهيم(توفي ٧٣٣هـ / ١٣٣٣ م) ،
تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم
حيدر آباد ، ١٣٥٣ هـ

١٣ — ابن خلدون ، عبدالرحمن المغربي الصوفي ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) "
المقدمة
الطبعة المصرية
.

١٤ — ابن سينا ، الشيخ الامام (توفي ٤٢٨ هـ /١٠٣٦ م) "
كتاب السياسة
نشر الاب لويس شيخو اليسوعي في كتاب((مقالات فلسفية)) بيروت ١٩١١ م
.

١٥ — ابن قتيبة ، ابو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري (توفي ٢٧٦ هـ / ٨٨٩م) "
عون الاخبار
الجزء الثاني ،مصر ١٩٣٠
.

١٦ — ابن مسكويه ، ابو علي احمد بن يحيى (توفي ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) "
تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق
مصر ، ١٩١١
.

١٧ — الانصاري ، الشيخ ابو يحيى زكريا (توفي ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م) "
الدور العظيم في هام التعلم والتعليم
مصر ، ١٣١٩
.

١٨ — الاصبهاني ، ابو القاسم الراغب(توفي ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨ م) "
محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء
جزءآن ،مصر ١٢٨٧ هـ
.

١٩ — افلاطون ، (الفيلسوف اليوناني) "
وصية افلاطون في تهذيب الاحداث
ترجمة اسحق بن حنين (ت ٩١٠ م) ، نشر الاب لويس شيخو اليسوعي في ((مقالات فلسفية))
بيروت ، ١٩١١

٢٠ — بوسون ، (المؤلف اليوناني) "
تدبير المنزل
نشر مارتن بلسنير ، هيدلبورغ ، ١٩٢٨

٢١ — الجاحظ ، عمرو ابو بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) "
البيان والتبيين
(٣) اجزاء ، مصر ١٩٣٢

٢٢ — الزرنوجي ، الامام برهان الاسلام (ت ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م) "
تعليم المتعلم طريق التعلم
مصر ، ١٩١٣

٢٣ — السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)
تدريب الراوي في شرح تقريب النووي في اصول الحديث
مصر ، ١٣٠٧ هـ

٢٤ — السيوطي ، جلال الدين (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) "
الاتقان في علوم القرآن
جزءآن ، مصر ١٢٧٩ هـ

٢٥ — الشهرزوري ، شمس الدين محمد (ازدهر في القرن السابع الهجري) ،
رسائل الشجرة الالهية في علوم الحقائق الربانية
نشر مارتن بلسنر ، هيدلبورغ ١٩٢٨ م
.

٢٦ — طاش كبرى زادة ، احمد بن مصطفى بن خليل (ت ٩٦٨ هـ / ١٥٦١ م) ،
مفتاح السعادة ومصباح السيادة
جزءان ، حيدر آباد ١٣٢٩ هـ
.

٢٧ — العبدري ، الامام ابو عبدالله محمد المعروف بابن الحاج (ت ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م) ،
كتاب المدخل
(٣) اجزاء ، مصر ١٢٩٣ هـ
.

٢٨ — العاملي ، بهاء الدين بن علي الشامي (ت ٩٦٦ هـ / ١٥٥٨ م) ،
هبة العبد في آداب العيد والصعيد
اختصار عيسى اسكندر المعلوف ، المقتطف ٥٨ : ١٩٢١
.

٢٩ — العلوي ، الشيخ عبدالباسط بن موسى (ت ٩٨١ هـ / ١٥٧٣ م) ،
العهد في ادب العبد والصعيد
دمشق ، ١٣٤٩ هـ
.

٣٠ — الغزالي ، الامام ابو حامد محمد (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) ،
فاتحة العلوم
مصر ، ١٣٢٢ هـ
.

٣١ ـ الغزالي ، الامام ابو حامد محمد (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) "
ميزان العمـــــل
مصر ، ١٣٢٨ هـ

٣٢ ـ الغزالي ، الامام ابو حامد محمد (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م) "
احياء علوم الدين
(٤) اجزاء ، مصر ١٣٠٢ هـ

٣٣ ـ الفارابي ، ابو نصر (ت ٣٣٩ هـ / ٩٥٠م) "
رسالة في السيـــــــاسة
نشر الاب لويس شيخو اليسوعي في مقالات فلسفية بيروت ١٩١١ م

٣٤ ـ القابسي ، ابو الحسن علي بن محمد (ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) "
الرسالة المفصلة لاحوال المتعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين
نشر الدكتور احمد فؤاد الاهواني ، مصر ١٩٤٥ م

٣٥ ـ القلقشندي ، الشيخ ابو العباس احمد (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) "
صبح الاعشـــى
الجزء (١٤) القاهرة ١٩١٨

٣٦ ـ النووي ، محي الدين ابو زكريا يحيى (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) "
آداب الدارس والمدارس
نشر واختصار جمال الدين القاسمي ، المقتبس ٧ : ١٩١٢ م

٣٧ — النمري ، أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠م) .
مختصر جامع بيان العلم وفضله
مصر ١٣٢٠ هـ
.

٢ــ المصادر المخطوطـــــــة

١ ــ الآجري ، ابو بكر محمد بن الحسين (ت ٣٨٠ هـ / ٩٧٠ م) *
فرض طلب العلم
مكتبة برلين رقم ( )

٢ ــ الانقروي ، العولوي ، اسماعيل (ت ١٠٤٢ هـ / ١٦٣٣ م) *
تحفة الطلاب وضحة الوهاب في الآداب بين الشيخ والاصحاب
مكتبة برلين رقم ( )

٣ ــ ابن السني ، ابو بكر احمد بن محمد بن اسحق الدينوري (ت ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م) *
رياضة المتعلمين
مكتبة برلين رقم ( )

٤ ــ ابن العجمي ، برهان الدين ابراهيم بن محمد بن خليل (القرن الثامن الهجري)
نبت الشيخ حافظ الاسلام برهان الدين ابراهيم ابن محمد بن خليل سبط ابن العجمي الحلبي
مخطوطة في حوزة رئاسة دائرة التاريخ في جامعة بيروت الاميركية

٥ ــ ابن عربي ، محي الدين (ت ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠ م) *
آداب المريدين
او
الامر المحكم المربوط فيما يلزم اهل الطريقة من الشروط
المكتبة الوطنية في فينا رقم ( )

٦ — أبو بكر بن داوود (ت ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م) *
آداب المريد والمراد وآداب الصحبة وحسن الظن في الاخوان
المكتبة الظاهرية بدمشق رقم(٣٦٦٧)

*

٧ — أبو خيثمة ، وهير بن حرب (ت ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م) *
كتاب العلم
المكتبة الظاهرية بدمشق رقم(٣٨٥٦)

*

٨ — البكري ، مصطفى بن كمال الدين بن علي الصديقي (ت ١١٦٢ هـ / ١٧٤٠ م) *
نظم القلادة في كيفية أجلاس المريد على السجادة
مكتبة برلين رقم( )

*

٩ — البيكاني ، جعفر بن حوان
نهج العلم
مخطوطة في المكتبة الوطنية في باريس رقم( )

*

١٠ — الرطي ، أحمد بن أبي بكر .
بغية الاخوان في رياضة الصبيان
الصحف البريطاني رقم( )

*

١١ — السهروردي ، أبو النجيب عبد القادر بن عبد الله (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٨ م) *
آداب المريدين في التصوف
مكتبة برلين رقـــم ( )
الصحف البريطاني رقم( )

*

١٢ — الشعراوي ، عبد الوهاب بن أحمد بن علي (ت ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م) *
مدارج السالكين الى رسوم طريق العارفين
مكتبة برلين رقم ( )

•

١٣ — الشعراوي ، عبد الوهاب بن أحمد بن علي (ت ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م) *
البحر المورود في المواثيق والعهود
مكتبة برلين رقم ( )

•

١٤ — العطاني ، تاج الدين بن زكريا (ت ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠ م) *
آداب العيدين
مكتبة برلين رقم ( )

•

١٥ — الغزي ، بدرالدين بن رضاء الدين العامري (ت ١٨٤ هـ / ١٥٧٦ م) *
الدر النضيد في آداب المفيد والمستفيد
مخطوطة في مكتبة جامعة بيروت الاميركية برقم( )

•

١٦ — الغزي ، محمد بن بدر الدين بن محمد (ت ١٠٨٧ هـ / ١٦٧٦ م) *
مقصد الطلاب فيما يلزم الشيخ والمريد من الآداب
مكتبة برلين رقم ( )

•

١٧ — المغربي ، علي بن ميمون (ت ٩١٧هـ ١٥١١ م) *
الآداب والشروط الواجبة لله على الشيخ والمريد
مكتبة برلين رقم ( )

•

١٨ — النووي ، محي الدين ابو زكريا يحيى (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م) ،
التبيان في آداب حملة القرآن
المصحف البريطاني رقم ( )
.

١٩ — البيهقي ، احمد بن محمد بن علي بن حجر المكي (ت ١٧٣ هـ / ١٥٦٥ م) ،
تحرير المقال في آداب واحكام وفوائد يحتاج اليها م°دب الاطفال
مكتبة برلين رقم ( )
.

٢٠ — م°لف مجهول (تاريخ المخطوطة ١١٠٠ هـ)
رم الاكمام
مكتبة برلين رقم ( )
.

٢١ — م°لف مجهول (تاريخ المخطوطة ١١٢٠ هـ) :
ضيا° الانوار في فضل العلم والعلما° الاخيار
مكتبة برلين رقم ( )
.

٢٢ — م°لف مجهول (تاريخ المخطوطة ١٠٩٠ هـ) ،
منهاج المتعلم
مكتبة برلين رقم ( )
.

٣ — المراجـــع العربيـــــة

١ — الاهواني ، الدكتور احمد فؤاد .
التعليم في رأى القابسي
مصر ، ١٩٤٥ .

٢ — معلوف ، عيسى اسكندر .
التربية عند القدماء
المقتطف ٥٧ : ١٩٢٠ .

٤ — المراجـــع الأجنبيـــــة

I _ Goldziher , I . ((Education i Muslim))
Encyclopaedia of Religion and Ethics .

2 _ Macdonald , D . B . ((Aspects of Islam))
NewYork I9II .

3 _ Macdonald , D . B . ((The Moral Education of the Young among Muslims))
International journal of Ethics , Vol . v, Oct . , I904
Jan . apr , july ; I905 .

4 _ P edersen , Johs . ((Masdjid))
Encyclopaedia of Islam .

5 _ Totah , Khalil , ((Contribution of the Arabs to Education))
New York , I926

6 - Goldziher , I. « Idjāza »
Encyclopaedia of Islam.

٤ — المراجـــع الاجنبيـــــة

I _ Goldziher , I . ((Education : Muslim))
Encyclopaedia of Religion and Ethics .

2 _ Macdonald , D . B . ((Aspects of Islam))
NewYork I9II .

3 _ Macdonald , D . B . ((The Moral Education of the Young among Muslims))
International journal of Ethics , Vol . v, Oct . , I904
Jan . apr , July ; I905 .

4 _ P edersen , Johs . ((Masdjid))
Encyclopaedia of Islam .

5 _ Totah , Khalil , ((Contribution of the Arabs to Education))
New York , I926

6 - Goldziher , I. « Idjāza »
Encyclopaedia of Islam.

T
23A

ملخص ((مفهوم العرب للمعلم المثالي))

- ملخص -

يمكننا التعرف الى المفهوم العربي للمعلم الامثل من خلال ابحاث العرب ومؤلفاتهم في حقلي التربية والادب التهذيبي ، ومن الضوء الذى تلقيه الينا هذه المؤلفات ، نستطيع ان نلم بمفهوم المعلم المثال كما فهمه علماء العرب وادباؤهم ، هذا المفهوم الذى يتضمن النواحي التالية "

اولا فلسفة المعلم واهدافه في التربية ، ثانيا شخصية المعلم فيما يتعلق بذاته وهي النواحي المادية والاخلاقية والعقلية والدينية من شخصيته ، وفيما يتعلق بعلاقاته مع غيره وهي آدابه المهنية ، ثالثا المعلم كمدير للمدرسة ، وكمهذب للاخلاق وكمدرس نموذجي .

وان تحليلا دقيقا لمذاهب العرب المختلفة في التعليم ، يظهر لنا اهدافا للتعليم متعددة وفلسفة للمعلمين متشعبة ، يقف الهدف الديني منها كهدف اساسي ، وتبدو الفلسفة الدينية كفلسفة شاملة ، هذه الفلسفة التي دعت اليها الاحاديث النبوية من امثال ((من تعلم علما لغير الله واراد به غير الله ، فليتبوأ مقعده من النار)) . والتي تخلص الى ان الغاية النهائية للتعليم هي في خدمة الله ابتغاء لوجهه ، وفي الابتعاد عن الاغراض الدنيوية من مركز اجتماعي او مطمع دنيوى . ولا تخلو المصادر ايضا ، من اهداف اخرى ثانوية للتعليم ، فمن الرغبة في نفع الانسانية برفعها بواسطة التعليم ((من حد البهيمية الى حد الانسانية)) الى الرغبة في المراكز الاجتماعية الرفيعة ، لا حبا فيها بل توخيا للاصلاح ورغبة في الخير العام ، ومن طلب العلم توخيا للذته العقلية الى طلب العلم من اجل العلم ذاته .

ولما كان المعلم قدوة لغيره من افراد المجتمع ، ومثالا يحتذى به من تتلمذ على يديه فقد اهتم العلماء بالنواحي المختلفة من شخصيته المادية منها والاخلاقية والعقلية والدينية كما اهتموا بالناحية المهنية من شخصيته . فكان على المعلم من الناحية المادية ان يتخذ القاعدة التالية ((العقل السليم في الجسم السليم)) شعارا له ، وهذا ما يحتم عليه ان يدعو الى الاعتدال في الاطعمة والاشربة والنوم ، والى راحة الجسد والفكر ، والى ممارسة الرياضة البدنية ، وكان عليه من الناحية الاخلاقية ان يتحلى بالخصال الحسنة والاخلاق الحميدة ، لان ((تعليم المعلم بسيرته ابلغ من تعليمه بلسانه)) وان يقف من طلابه موقفه من بنيه ، فيعاملهم بكل شفقة وحب واحترام ولا يبخل عليهم بالنصح والمساعدة ، ويقيمهم على حد سواء من العدل والمساواة ،

ويتواضع لهم كل التواضع ، شريطة ان لا ينال هذا التواضع من كرامته .

ومن الوجهة العقلية ، كان على المعلم ان يتصف بالنشاط الفكرى والفعالية العقلية الزائدة فيداوم على المطالعة وطلب المزيد من المعرفة ، ويحاوس التاليف والتصنيف ، وان يتصف بالامانة الفكرية فيعترف صراحة بمواطن الجهل فيه ولا يجد غضاضة من قول كلمة ((لا ادرى)) وان يكون سليم التفكير فيتوخى الدقة في بحثه عن الحقيقة ، ويبتعد عن الاحكام التي يشوبها التغرض — والهوى ، واخيرا ان يكون متواضع العقل فياخذ الحقيقة اينما وجدها .

اما من الوجهة الدينية فقد اتت صفات المعلم الروحية في المقام الاول من الصفات الضرورية له كمعلم مثالي ، فالايمان بالله وبكل ما اتى به من تعاليم وقواعد ، والتقيد باحكام الشريعة ، وتعهد الورع والزهد ، ودوام مراقبة الله ، هي قطرات من فيض من هذه الصفات الروحية .

وتبدو الناحية المهنية من شخصية المعلم واعني بها آدابه المهنية ، في علاقاته مع زملائه التي يجب ان تكون علاقة ود وتعاون لاعلاقة تباغض وتنافس ، وفي معاملته لطلابه التي يجب ان تتميز بالاهتمام بهم والحرص على اداء واجب تعليمهم وتهذيبهم ، والغيرة على مصالحهم ، — واحترامهم ومساعدتهم ، واخيرا فيما يترتب عليه نحو مجتمعه من واجبات مهنية شبيهة بواجباته نحو طلابه ، ومن تقويم للمنكر ومن عطف على بقية افراد المجتمع واهتمام بمصالحهم ، واخيرا من واجب الاتصال المباشر باولياء الطلاب لغايات تربوية .

واذا انتقلنا بالمعلم الى الناحية الادارية في المدرسة نجد بان عليه واجب العناية بامر بناء المدرسة وتامين الشروط الصحية لغرف الدروس ، كما نجد بان عليه واجب حفظ النظام داخل غرفة الدرس وخارجها ، ويحتاج هذا الى نوع من الحزم بعيد عن القسوة والشدة ، وذلك عن طريق الاهتمام باحوال الطلاب الجسدية منها والنفسية ، وتعويدهم السلوك الجيد والعمل المنظم والدقة في انجاز الاعمال وعن طريق الاهتمام باسلوبه في الحديث والحركة والجلوس . ونجد اخيرا بان عليه امر العناية بجدول مواقيت الدروس ، فلا يطيل من حصة الدرس اطالة تدعو الى الملل ويترك في الجدول مكانا لفترات من الراحة تفصل ما بين الدروس ، وان ياخذ بعين الاعتبار ما للعطل المدرسية في المناسبات والاعياد المختلفة من اثر حسن .

ولعل اهم الواجبات الملقاة على عاتقه لا تظهر في مجال التعليم بل في مجال تهذيب الاخلاق الذى لم يكن شرطا ضروريا لتلقي العلوم فحسب ، بل كان يشكل ضرورة دينية بدت في كير من الاحاديث النبوية . ولما كانت نظرة المربين العرب الى الصبي تتجلى في ((ان نفس الصبي —

ساذجة خالية من كل نقش وصورة وليس لها رأي ولا عزيمة ، فاذا نقشت بصورة قبلتها)) — فقد اصبح الصبي في رأيهم امانة في عنق والديه ومعلميه ، واصبح لزاما على المعلم ان يبدأ بتهذيب اخلاق الصبي منذ الصغر ، فيحيطه بالمؤثرات الحسنة من رفاق وغير ذلك ، ويعوده الاعمال الصالحة والعادات الحسنة التي لا تلبث بحكم الممارسة ان تصبح فيه طبيعة طبيعة ثانية ، ويكون في تهذيبه كمثل الطبيب لا يعطي الدواء الا اذا عرف طبيعة الداء .

اما اسلوبه في التهذيب فيجب ان يكون بحزم بعيد عن القسوة التي من شانها ان تؤدي بالصبي الى عكس ما يراد له من اخلاق حميدة . وخير الاساليب ما اعتمد فيه المعلم على الطريقة غير المباشرة في التهذيب ، من تلميح دون تصريح في ردع الاحداث عن الاخلاق — المشينة ، وما اتخذ من الثواب والعقاب بنوعيهما المادي والمعنوي ، وسيلة لبناء صرح الاحداث الاخلاقي ، شريطة ان تستعمل هذه الوسيلة بكل تعقل واتزان فلا يلجأ المعلم الى العقاب الجسدي الا اذا اخفقت جميع الحيل والوسائل الاخرى الفعالة ، وهو في اتخاذه العقاب الجسدي وسيلة للتهذيب ، مطالب بان ينال موافقة اولياء الطلاب في ذلك ، وان يكون عادلا في تطبيقها بعيدا عن التغرض والقسوة او الغضب والتشفي .

واخيرا لا آخرا ، لا بد للمعلم في طريقة التدريس من الاهتمام بثلاثة نواحي هي اسلوب التدريس ، ومادته ، والطالب .

ولما كانت المحاضرة تحتل المقام الاول من اسلوب المعلم في التدريس فمن المستحسن ان يكون المعلم حسن الالقاء واضح العبارة ليتسنى للطلاب كتابة ما يلقيه اليهم من معلومات كما يحسن بالمعلم ان يعتمد على التكرار كحجر اساسي في اسلوب التعليم والتعلم ، فتكرار الشرح يساعد على تفهم ما اشكل فهمه ، وتكرار قراءة الدرس يساعد على ترسيخه في الذهن والمحادثة والمناظرة تفيد اكثر من مجرد التكرار ((فهي تفيد انشراح العقل وتحل منعقد الفهم)) ، اما السئوال فهو عماد اسلوب المعلم في التدريس لان ((العلم خزائن مفاتيحها السئوال)) ولا — يكفي فيه ان يسأل المعلم الطلاب فقط بل يجب ايضا ان يعودهم على القاء الاسئلة ايضا ، وفي كلتا الحالتين فان للسئوال شروطا يجب على المعلم والطلاب مراعاتها .

واذا انتقلنا من اسلوب التدريس الى مادته ، نجد بان قاعدة السير في الدروس من البسيط الى المركب ومن السهل الى الصعب ، يجب ان تحتل المقام الاول اثناء انتقاء المعلم لمادة التدريس ، ويتضمن هذا ايضا الابتعاد عن اختلافات العلماء ، والحذر من اتخاذ مختصرات

مختصرات العلوم ككتب للتدريس ، كما نجد بان على المعلم ان ياخذ بعين الاعتبار المبداء الذى دعى اليه ابن خلدون وهو مبداء التدرج المركزى في التعليم . ومن خلال تصانيف العلماء المختلفة للعلوم يستطيع المعلم ان يرى بان ((العلوم المقصودة لذاتها)) والتي هي بمثابة فروض واجبة ، يجب ان تحتل المرتبة العليا من مواد التدريس ، وهي العلوم الدينية والشرعية من قرآن وفقه وحديث وتفسير ، على ان تليها ((العلوم المساعدة)) التي يجب ان لا تدرس الا كواسطة لتفهم الاولى شان علوم اللغة والرياضيات والمنطق والطب .

وعندما ينتهي المعلم الى الالمام بهذه العلوم على اختلاف انواعها ، يستطيع فقط ان يتخصص بالفرع الذى يختاره منها ، اما ان يقضي عمره بالتخصص في فرع واحد من فروع المعرفة ويبقى جاهلا لبقية فروعها ، فامر يشابهه بناء دار من جهة واحدة فقط .

واخيرا لا يكفي في طريقة التعليم ان يهتم باسلوب التدريس ومادته ، دون الاهتمام بمعرفة الطلاب والتعمق في دراسة نفسياتهم ، فلا بد له من ان ياخذ بعين الاعتبار مستوى الطلاب الفكرى بحيث تتلاءم مادة التدريس واسلوبه مع استعدادات الطلاب العقلية ، كما لا بد له من ان يراعي فروق الطلاب الفردية ، وهذا ما يملي عليه ان يتبنى الطريقة الافرادية في التعليم .

وختاما لا بد وان نذكر بان فلسفة المعلم المثلى ، وشخصيته النموذجية شأن مهارته في تهذيب الاحداث ومعرفته مادة التدريس والاسلوب الجيد في عرضها لاتكفي جميعها للدلالة على كمال اهلية المعلم ما لم تقترن باجازة التعليم سواء اكانت هذه الاجازة عامة ام خاصة .